الدعوة والإعلام

ألقي عام ١٤٣٢هـ

بسم الله الرّحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكن سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

- ✓ منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- ✓ هذه التّفاريغ من اجتهاد الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- ✓ الكمال لله -عزَّوجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، نسأله -سبحانه وتعالى- بِمَنِّه وكرمه كما يَسَّر أسباب الاجتماع أن يجعل هذا الاجتماع اجتماعًا مباركًا مرحومًا، وأن يجعلنا فيمن يذكرهم في الملأ الأعلى، ويُصَلِّي عليهم ثناءً عظيمًا، مخلصين له الدين -سبحانه وتعالى-.

لقاؤنا اليوم -إن شاء الله- ضِمْن الملتقى الدعوي لمكتب العزيزية، وعنوانه: (الدعوة والإعلام)، وهذا العنوان مناسب -والله أعلم- للأحوال التي تمر بها الأمة، فنحن نرى إلى أيّ درجة الإعلام يُؤَثِّر على تفكير الناس، بل ويسيطر على تفكيرهم، بل ويُلَقِّنهم كيف يتعاملون مع الأوضاع والأحوال، بل ومع الثوابت، كيف يمكن للإعلام أن يهز ثوابتًا في النفوس؟ بل ويمكن أن يصل أن يهزّ دُوَلًا.

هذا خَطَر؛ لكن ألا يمكن أن يكون بعد كَوْنِه خَطَرًا أن يستبدله أهل الدعوة والإيمان، فبدلًا من أن يكون شَرًّا مَحْضًا، يصبح خيرًا مَحْضًا؟ الجواب: نعم؛ لأن الإعلام مُجَرَّد وسيلة، والوسائل لها أحكام المقاصد، فإذا كانت الوسيلة خالية من أيّ شُبْهَة، الوسيلة نفسها

ليس فيها أيّ مشكلة، وستنقلنا إلى مَقْصَد صحيح، أصبحنا بحاجة إلى هذه الوسيلة الصحيحة.

نحن سنُنَاقش في هذا اللقاء -إن شاء الله- ثلاثة مفاهيم، والمفروض أنَّ الموجودين لهم علاقة بالدعوة، لذلك نحن **سنُنَاقش هذه المفاهيم الثلاثة:**

١) أولًا: **من أنا، وما علاقتي بالإعلام؟**

أنا كشخص ماذا أكون؟ ماذا أُمَثِّل في هذه المنظومة العظيمة، منظومة الأمة العظيمة، وما علاقتي بالإعلام؟ **هل لي علاقة بالإعلام أم لا؟** هذا المحور الأول.

٢) المحور الثاني: لو كانت الإجابة: لا، ليس لي علاقة بالإعلام -وهذا في الغالب-، **لماذا ليس لك علاقة بالإعلام؟ وكيف يمكن أن يكون لك علاقة إيجابية؟**

٣) ولو كانت الإجابة: نعم، **ما مدى انتفاعك بالإعلام؟**

هذه الثلاثة محاور.

كأنّي سأسأل أوّلًا: أنا من أكون؟ ثم على حسب حالي: ما علاقتي بالإعلام؟ والأمر الثاني: ستكون النتيجة واحد من الاثنين: هل لي

علاقة أم ليس لي علاقة؟ إذا كانت الإجابة بنعم، سنتناقش مناقشة، وإذا كانت الإجابة بـ: لا، سيكون هناك نقاش آخر.

نحتاج أوّلًا، قبل أن ندخل في هذه التفاصيل كلّها أن نقول ما هو الإعلام الذي نقصده هنا؟ ما هو الإعلام؟

عندما أقول لك: وسائل الإعلام، ماذا تفهم؟ **ما هي وسائل الإعلام** في وجهة نظرك؟ عدّدوها:

[مشارِكة: الصحافة.]

هذه أَحَد الوسائل المشهورة.

[مشارِكة أخرى: النت.]

النت، هذه كلمة واسعة، أنا لا أعرف ماذا يوجد في النت من وسائل الإعلام، حَدِّدوا لي، ماذا يوجد في النت وسيلة إعلامية؟

[مشارِكة: الفيسبوك.]

مثلًا: الفيسبوك، هذه وسيلة إعلامية، موجودة وقريبة.

لو أردت منكم أن تقولوا لي: ما هو هذا الفيسبوك الذي نسمع اسمه بتكرار؟

كم شخص منكم يعرف الفيسبوك معرفة حقيقية وتَعَامَلَت معه، كم واحدة من الحَاضِرَات؟

ثمانية من أصل عددنا كلّنا.

قولوا لي أيضًا وسائل أخرى، نجد أشهرها عند الناس التلفاز، الصحافة.

[مشاركة: الإذاعة.]

نعم، والجوالات. والآن (البلاك بيري) يعتبر أحد وسائل الإعلام، كل الإشاعات تخرج لنا من عند الـ (بي بي).

هل ترون كيف هي وسائل الإعلام بَيْن قُرْب وبُعْد، هناك شيء قريب في متناول اليد، ممكن أنّنا نحن بأنفسنا نتعامل معه، وهناك شيء بعيد، لكن دائمًا عندما نقول وسائل الإعلام، فورًا يأتي في عقلنا الشيء البعيد؛ التلفاز الذي لا يُمْكِن أن يصل صوتنا إليه، -مثلًا-، أو الصحافة التي يستعمرها أشخاص مُعَيَّنون. ودائمًا نحن نشتكي من هذا الكلام، أنّهم ينشرون في الصحافة كلامًا ليس له داعٍ، يَنْشُرُون في الصحافة أمورًا لا تُمَثِّل المجتمع، أليس هكذا نقول؟

يأتي هنا السؤال: **ألم نَجِد في الوقت المُعَاصِر مَنَافِذًا يُسْمَع فيها صوت الحق؟**

[مشاركة: نعم، يوجد].

نعم، يوجد منافذ. ها هي الرسائل الإلكترونية أحد أهم وسائل الإعلام اليوم، الرسائل الإلكترونية هذه لها قوة.

مَثَلًا، ها هو كما ذَكَرْتُم، الفيسبوك أحد وسائل الإعلام المُهِمَّة.

ها هي ما يُسَمُّونَه بالمِرْسَال، أو هو في التعبير المصطلح: الماسنجر، ها هو أحد الوسائل. وتويتر، وإلى آخره. وستأتي وسائل كثيرة من نفس النوع، بنفس الطريقة، أنا أعلم أنّكم ستقولون: هذا الكلام نحن ليس لنا علاقة به، فهنا قامت المشكلة، أنَّ أَمْرًا يَسِيرًا، حتى أنّهم الآن تَرَكُوا الأجهزة المحمولة واستبدلوها بالأجهزة اللوحية، تحملها أَخَفّ من حقيبتك، وهذا الذي يُسَمُّونه الـ (بي بي) في الأيدي، مثْله مِثْل جوالك بالضبط، يَسِير في المُعَامَلَة، أيسر ما يكون.

أين أنتم يا أهل الحق عن نَشْر الحق؟ هذا سؤال مهم، نحن الآن حَجَّمْنَا الدعوة، ضيقناها، ووضعناها في نقطة واحدة هي: الدعوة تعني محاضرة، هكذا نفهم؛ الدعوة تساوي محاضرة. فمن أين أَلُمُّ الناس؟ وخصوصًا النساء.

انظروا، نحن كان موعدنا الساعة الخامسة، وأنتم معذورون فيما حدث لكم، فما قدرنا أن نجتمع إلا في الخامسة والنصف كعدد.

لماذا؟ لا نقدر، أوضاعنا، أحوالنا، ...، لكن أترون هذه الوسائل كلّها، وغيرها من غرف الدردشة، والغرف الصوتية، والغرف التي على جميع المستويات؟ إنها توصل الإنسان إلى آخر العالم، وهذا هو الذي حَصَل حقًّا، لكن ما الذي وَصَل بهذه الوسائل؟ في الواقع صوت من الذي داخل حتى هذه الوسائل القريبة.

من قبل كُنَّا نَعْذُر أنفسنا، ونعتذر أَنَّ الصحافة يوجد جماعة تسيطر عليها، وأنَّ الإعلام لا يمكن أن نصل به، أَنَّ الإذاعة يمكنني أن أُرْسِل كلمتين فحسب في برنامج حوار -مَثَلًا-، وهذه الكلمتان يُقَال نصفها، ونصفها الآخر لا يُقَال.

صحيح، نحن قبل خمس سنوات ربما كُنَّا نُعْذَر، لكن اليوم ما الذي يَعْذُرنا عن نَشْر الحق؟ وهذا الكلام لتتصوروا أنَّ هذا الموضوع في متناول اليد، وحاصل فيه تقصير.

وهذه أبدًا ليست دَعْوَة، لا لِفَتْح أبواب النت على مصراعَيْهَا، ولا للتَّصَفُّح في صفحات الإنترنت، لأنك ستصل إلى الإعلام عن طريق النت بَعِيدًا تمامًا عن التَّصَفُّح، بمعنى لو أنّك عَطَّلْت خاصيّة التَّصَفُّح في جهازك، تستطيع أن تصل لهذه الوسائل بدون خاصيّة التَّصَفُّح،

وبدون أن تدخل وتقول: والله أنا خائف على نفسي أن أدخل مواقع مشبوهة.

وعندما يكون لك -مَثَلًا- أو لجماعتك -مَثَلًا- صفحة في الفيسبوك، ليس شَرْطًا أن تنتقل لغيرها، فلا تتعامل إلا مع هذه الصفحة.

هل ترون كيف **نحن نُغَلِّب جانب الحَذَر؛ لكن في غَيْر مَوْضِعه**، وكم تأتي تحذيرات، والإنسان عَدُوُّ ما يجهل.

لكن قبل أن يحصل حالة من الهجوم، دعونا نتفاهم؛ من نحن؟ ماذا يوجد معنا حتى نأتي نفكر أن نستخدم هذه الوسائل؟

نعود للوراء، غالب الموجودات لهن علاقة بالدعوة، هذا جميل، ودَعْوَتُنا لها إِطَار مُعَيَّن، ولها شكل مُعَيَّن، ولها ترتيبات مُعَيَّنَة في الواقع؛ لكن أنت، أَلَسْت تحمل حَقًّا؟ تَعَالَ إلى هذا الحق وفَنِّدْه الآن في اللقاء، تَفْنِيدًا واضحًا، ثم أقول: إذا كان معي كذا، وكذا، وكذا، لا بد ألَّا أَسْكُت، **لا بد ألَّا أَتْرُك هذه المَنَافِذ لأهل الشر**؛ لأَنَّنَا نحن قَبِلْنَا أو لم نَقْبَل، العالم **قَرْيَة إلكترونية صغيرة**.

الزلزال الذي أصاب اليابان، أصابها في وقت، المملكة هنا عرفت بعد أقل من ثلاثين دقيقة من وقوع الزلزال، أقل من ثلاثين دقيقة، هل تتصوّرون؟ أين هم عَنَّا، وأين نحن عنهم، وعن طريق هذه

الوسائل الإعلامية في ثلاثين دقيقة عرف الناس. معنى ذلك، رَضِينَا أم لم نرضَ، الدنيا قرية إلكترونية صغيرة، ودائمًا عندما تنظر إلى هذا النوع من الوسائل ترى أنَّ جِيلًا قَادِمًا سيستعملها حتى في التعليم، هي سَتُفْرَض علينا، حتى في التعليم بعد أقل من ١٠ سنوات سيكون التعليم عن بعد وسيلة من وسائل التعليم في المرحلة الثانوية والجامعية، الجامعية بدأت، أمّا المرحلة الثانوية والمتوسطة سيكون في خطة قادمة، رغمًا عنّي أَوْلَادي سيجلسون في البيت، وسيدرسون عن طريق الوسائل الإلكترونية.

إذًا هذه الوسائل الإلكترونية موجودة، وسَيَسْتَعْمِلها الناس، وستأتي اللحظة التي تُفْرَض فيها. لكن أنا ماذا يوجد معي من أجل أن أتعامل مع هذه الوسائل؟

هذه الوسائل تكشف حقيقة ما معنا. الآن أنا أريد أن أجلس على صفحة، سواء كانت الصفحة في الويب -كما يُعَبِّرون-، أو صفحة في الفيسبوك، أو في تويتر، ... أو إلى آخره من الوسائل. ما الذي معي من أجل أن أُرْسِل إلى المجتمع؟ ماذا معك يا أيها الدَاعِي؟ كيف سَتُرَتِّب أوْلَوِيَّاتك؟ ما الرسالة التي عندك لترسلها إلى الآخرين؟

اترك الآن وسائل إيصال الرسالة، أنا سؤالي الآن: أنت داعية، وهذه وسيلة الدعوة، لا تُنَاقِش ما هي الوسيلة، قل لي:

ما الذي معك تريد أن تُوصِله للناس، وتبحث عن وسيلة؟ **ما الذي معكم؟** قولوا من الكثير واحدًا، وكونوا حذرين من العُمُومِيَّات، لأنّنا كلنا سنقول: "سننشر الدين"، هذه كلمة عامة، أنا أريد أن ترتّب أفكارك، وتَقُول لي: ماذا ستقول؟ ما الذي معك، شيء تجيده ويُمْكِن إرساله؟

نعم، صحيح، أنا الآن عندما يكون عندي أيّ وسيلة إعلام، نقطة الانطلاق أن يكون معي عقيدة صحيحة أريد إرسالها، والعقيدة الصحيحة عندما تريد أن تُحَوِّلها إلى رسالة، لا بد أن يكون معك ثلاثة شروط في تحويلها.

أنا الآن **عندي عقيدة صحيحة** -الحمد لله نحن على عقيدة أهل السنة والجماعة، أسأل الله أن يثبتنا ويزيدنا فضلًا ومِنَّة بهذه العقيدة، وبها تَخْصُب الأرض، وبها ينزل المطر، وبها تُفْتَح بركات السماء-.

لكن هناك ثلاثة **شروط** من أجل أن تَتَحَوَّل هذه العقيدة من عقيدة تَعْتَقِدها إلى **عقيدة ترسلها**:

قولوا لي، افترضـــوا معي، اقترحوا عليّ شـــروطًا، أنت الآن عندك عقيدة صحيحة، متى سَتَتَحَوَّل أن تُرْسَل؟

أولًا: لا بد أن تكون العقيدة واضحة -في عقلك-، غاية في الوضوح.

بمعنى لو أنا سألتك الآن: ما عقيدة أهل السنة والجماعة في صحابة المصـــطفى -صـــلى الله عليه وســـلم-، وهذا ممّا ضَـجَّ به الإعلام زَمَنًا، أجيبوا.

اكتب أمامك جملة مفيدة في ورقك، ماذا تعتقد في الصـحابة، سنجد عدم الوضوح مشكلة عظيمة نعيشها، فهناك مشاعر عامة، لكن الوســائل الحديثة لا تســمح لك بالمشــاعر، الوســائل الحديثة ليســت مكانًا لبث مشــاعرك، الوســائل الحديثة مكان لبث معلومات غـايـة في الوضـــوح. فيجـب أن تكتبي أربع، أو خمس جُمَـل فيمـا تعتقدينه، بكل وضـــوح، ماذا تعتقدين في وليّ الأمر؟ يجب أن يكون الكلام واضـحًا. ماذا تعتقدين في الملائكة؟ لا بد أن يكون هذا الكلام واضـحًا، محفوظًا كالاســم، مِثْل اســمك، الذي تعتقدينه لا بد أن تحفظينه مثل اسـمك، لكي تسـتطيع تحويله من مُجَرَّد اعتقاد تحمله لرســالة تريد إرســالها، في أيّ وســيلة إعلامية، أيًّا كانت الوســيلة الإعلامية.

بِغَض النظر عن الإعلام، نَتَّفِق أنَّ هذا فلان اسمه داعية، هذا الداعي إلى ماذا سيَدْعُو؟ أول شي، وأهم شيء:

يَدْعُو إلى عقيدة صحيحة.

عندما أريد أن أدعو إلى عقيدة صحيحة، لا يصح في العقيدة الصحيحة أن تكون مثل الغَيْمَة، مُغَمَّاة، والكلام عائم، وتعبيرات لها ليس لها أول من آخِر، ومشاعر، لا، عقيدة صحيحة، بمعنى كلام واضح.

ماذا تعتقد في أسماء الله -عز وجل- وصفاته؟ يجب أن تقول خمس جُمَل؛ أُثْبِتها كما وردت في الكتاب والسنة من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، وأعتقد أنّه -سبحانه وتعالى- كذا، وكذا، وكذا، جُمَل واضحة.

ماذا تفهم من اسم الله المؤمن؟ معناه أنّه -سبحانه وتعالى- مُصَدِّق لِخَلْقِه، مُؤَمِّنٌ لَهُم -سبحانه وتعالى-، لا يُخْلِفُهُم وَعْدَه.

جُمَل. وليس أنّي أسألك ما معنى الصمد؟ أو فلان يسألك: ما معنى الصمد؟ فتُشتتينه، ويَتشوّش، ونَتحير مع بعضنا البعض، وفي النهاية لا يخرج بنتيجة، ولا بجملة مفيدة.

نحن لا نَشْتَكِي من عدم وجود وسائل إعلام نرسل بها، فقط خطوة بسيطة ستجعلنا نصل، وأحيانًا ليس شَرْطًا أنا، فممكن أنا معي عِلْم، وَوَلَدِي يستخدم الفيسبوك، فأنا أعطيه العلم، وهو يكتبه، فقط، انتهى الموضوع. لكن أنا التي أهمّ منه.

إذًا وضعنا الشرط الأول، أنت داعي، ماذا يجب أن يكون معك؟ ستدعو إلى ماذا أوّلًا قبل أيّ شيء؟ إلى عقيدة صحيحة.

العقيدة الصحيحة أوَّلًا قبل أن تخرجها من لسانك إلى الخَلْق، يُشتَرَط فيها ثلاثة شروط:

الشرط الأول: الوضوح، الوضوح عندي أنا حَامِل العقيدة، والقدرة على إرسالها واضحة غير مُشَوَّشَة.

كثير من الطَّرْح يَجْلِب للناس الشُّبْهَة؛ لأنّي أنا بنفسي الكلام في وصفي عائم، فعندما أرسله لا يكون واضحًا، فالذي أمامي بدلًا من أن يَتَّجِه إلى الصواب، يتجه إلى الخطأ، أو على الأقل أُشَوِّشُه.

إذن هذه المسألة تحتاج إلى عملية مُرَاجَعَة، المراجعة غاية في الأهمية، أنت تريد أن تستعمل الإعلام في الدعوة إلى الله، لا بد أوّلًا أن تكون معك عقيدة صحيحة، والعقيدة الصحيحة لا ينفع صاحبها أن

يكون مُجَرَّد حَامِل لعقيدة صحيحة، يجب أن تكون العقيدة الصحيحة التي يحملها غاية الوضوح.

اتفقنا الآن أن تكون عقيدتنا واضحة في عقولنا، ثم واضحة في عَمَلِيَّة الإرسال.

العقيدة لا بد أن تكون واضحة عندي لكي أرسلها، أيضًا هناك شيء مهم -الشرط الثاني-:

الدليل. العقائد السليمة الصحيحة لا بد أن صَاحِبَهَا يحمل لها دَلِيلًا.

لا يصلح أبدًا وأنا أطرح عقيدة صحيحة أن أبدأ مع الناس البعيدين، بأقول لهم: قال ابن تيمية، قال ابن القيم، قال فلان، هذا خطأ، هؤلاء كلّهم رموز السنة، ويَسَّر الله على أيديهم وصول الحق إلينا، صحيح؛ لكن المُسْتَنَد الذي بيني وبين الناس، سيسألني الله -عز وجل-: ﴿مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص:٦٥].

وهذا المفهوم نفسه يجب أن أُوصِلْه للناس. أنت الذي تسمعني مطلوب منك أن تعرف ماذا يريد الله منك، وليس ما يقول فلان، وفلان؛ لأنّه حينما تقول لهم فلان وفلان، يأتي أمر آخر، تأتي مسائل

تُشْبِه مسائل النقاش، والجدل، لكن عندما تقول لهم: الرسول -صلى الله عليه وسلم- يقول كذا، ماذا تكون النتيجة؟

حتى لو ما استجابوا، يكفي عندي أنّ قاعدتي التي بَنَيْت عليها هذه العقيدة واضحة الدلالة، **لا بد أن يكون للدليل أثر ولو بعد حين.**

فلا يصلح أن أَعْرِض عقيدتي الصحيحة عن طريق أيّ وسيلة إعلامية بدون أن يكون لها دليل واضح.

وعلى هذا عندما أطرح العقيدة التي أحملها **يجب أن أبدأ بالأَوْلَوِيَّات والمُنَاسَبَات.**

لا أتكلم في تفاصيل مسائل بعيدة ودقيقة وطالب العلم يبحثها بالسنين، لا بد أن أبدأ بمسائل تعتبر مهمة، أَوَّلِيّة، أساسية، أو مُنَاسِبَة للأوضاع.

سأعيد مرة أخرى النقطتين، قلنا لن تقف وسائل الإعلام على ما رَأَيْنَا وما سَمِعْنَا، بل ستَتَطَوّر كل يوم، وأكيد أنتم بعد الأحداث الحالية وَجَدْتُم إلى أيّ درجة كان أثر وسائل الإعلام في تشكيل عقول الناس.

وما دام أنّنا نعلم أنّ هذه الأمة هي خير أمة أُخْرِجَت للناس، ما دورها؟ تأمر بالمعروف، وتنهى عن المُنْكَر، وتدعو إلى الله -عز وجل-.

ماذا ستفعل هذه الأمة؟ ستستعمل كل وسيلة لإيصال رسالتها، غُضُّوا الطَّرْف الآن عن الوسائل، -يأتينا إن شاء الله النقاش أنّه ماذا سنفعل مع هذه الوسائل-.

لكي أستعمل أيّ وسيلة، ماذا يجب أن يكون معي؟ يجب أن يكون معي ترتيب في الأَوْلَوِيَّات. **أوّلًا وقبل أيّ شيء: سأستعمل كل وسائل الإعلام لِبَثّ العقيدة الصحيحة.**

ولماذا نحن نُؤَكِّد على هذه النقطة؟ لأنّ كثيرًا ممّن يستعمل وسائل الإعلام، يستعملها في العَمَلِيَّات قبل الاعتقادات، وعندما يستعملها في العَمَلِيَّات قبل الاعتقادات يحصل عند كثيرين اختلاف، مُخَالَفَة، يأتي لكثير من شهواته، ويرى هذا يُكَلِّمُه عن شهوة، فيُعَارِضُه، بمعنى أنّه عندما يأتي لأحد يُمَارِسُ أَخْطَاءً سلوكية، افترضي مَثَلًا: يُمَارِس الغيبة، يُمَارِس النميمة، وآتِي قبل أن يكون له اعتقاد سليم أُكَلِّمه عن الغيبة والنميمة، فيستطيع أن يخرج مني بمئة مَخْرَج.

في أيّ مجلس تكون، والناس يغتابون، ثم تقول لهم: لا، هذا حرام، هذه غيبة. فيردون عليك: لا، نحن سنقول لها هذا الكلام، سنقول لصاحبتنا هذه التي تكلّمنا عنها. أو يقولون: نحن لم يكن قصدنا، نحن فقط كذا وكذا. يخرجون مئة عُذر.

لماذا تخرج هذه الأعذار؟ لأنّه لا يوجد مفتاح العقيدة الذي يفترض أن أضغط عليه. أقول: الله -عزّ وجل- مُطَّلِع على ما يفعل العباد، وهو خبير -سبحانه وتعالى- بنواياكم وما تقصدون، ثم إنه يُرَبِّي عباده، كما تدين تُدان، مثلما تتكلّم على الناس سيتكلّم عليك الناس.

فارق شاسع أن أَأْمُر بالمعروف بناءً على اعتقاد، حتى لو سلوكي، وبين أن أَأْمُر بالمعروف للسلوك دون خلفية اعتقادية.

مرة أخرى، نحن الآن لا بد أن نفهم أنّ عدم تصدير العقيدة والعناية بها من قِبَل الدعاة هي المسألة الأساس التي سبَّبت في الغالب أنّ أثَر الخطابات ضعيف، بمعنى: **نتيجة غياب الاهتمام بالعقيدة تجدنا نقول نفس الكلام عشر سنوات، والناس إلى الوراء وليس إلى الأمام. ما السبب؟ لأنّ مُخَاطَبَة السلوك لا تُؤَثِّر في القلب مِثْل مُخَاطَبَة الاعتقاد**. ولهذا فإن الله -عز وجل- فضَّل من عنده عِلْم. وذَكَر أنَّ الخَشْيَة محصورة عليه. استشهدوا على ذلك:

[مشاركة: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨].]

العلماء. جميل، إذن الخشية مَحْصُورَة على هؤلاء، لا بد أن يكون عنده عِلْم من أجل أن يَخْشَى. فأنا عندما أُذَكِّره بدون قاعدة عَقَدِيَّة ماذا سيحصل؟ صحيح سيستجيب في المرة الأولى، وممكن أن يبكي،

والمرة الثانية ممكن أن تنزل دمعتين بعدما كانت عشـرة، والمرة الثالثة يكمل معك الكلام، والمرة الرابعة انتهى الموضوع، أصبح لا يستجيب.

في مقابل أن مَنْ بُنِيَت عقيدته أوّلًا، ثم خُوطِب بالسـلوك، دائمًا عندما تُحَرِّك عقيدة الشخص هو بنفسه سَيَتَصَرَّف السلوك السَوِّي.

وهذا يُفَسِّـر لنا كيف مع انتشـار مدارس التحفيظ، وانتشـار الوَعْظ، والدروس في المساجد، ونرى الآثار ضعيفة، وقد تكون سَلْبِيَّه، لماذا؟ لأنّ البداية كان فيها شيء من الخطأ.

هل معنى ذلك ألّا نُخَاطِب أحدًا في السـلوك؟ لا، لا نقول هذا، خَاطِبْه بالاعتقاد، فإذا صَحَّ اعتقاده ذاك الوقت سيسهل عليك مجرد الإشارة إلى السلوك، إشارة سهلة، بل والله لو قرأ كلام النبي -صلى الله عليه وسلم- بدون حتى أن تُخَاطِبَه به، سيجد له في نفسه أثرًا.

هذا الكلام متى أَثَّر فيه؟ عندما بُنِيَ على عقيدة تعظيم وتوقير النبي -صلى الله عليه وسلم-، على عقيدة تعظيم الشريعة، لكن عندما يرى الشريعة مِثْل أيّ شيء، وليس في قلبه تعظيم لها، مهما خاطبته، مهما كلمته بكلام النبي -صلى الله عليه وسلم-، وأقول له النبي يقول، وكذا، وكذا. لا يَجِد في نفسه أَثَرًا.

اتفقنا أنّه لا بد من الابتداء بهذا، أنا أريد أن أستعمل وسائل الإعلام، أريد أن أستعمل أيّ وسيلة إعلامية، أو أيّ طريقة للدعوة، لا تُخْطِئ، لا بد أن تكون أنت أوّلًا يا أيّها الداعي لديك عقيدة صحيحة منها تَنْطَلِق، وهذه العقيدة هي التي تَبُثُّهَا أوَّلًا، أَوَّلًا بُثَّ العقيدة الصحيحة، ثم سَتَجِد آثارها.

وضربنا مثالًا على ذلك، موقفنا من النبي -صلى الله عليه وسلم-، لو ما كان هناك في القلب توقير للنبي -صلى الله عليه وسلم-، لو لم يكن في القلب اعتقاد أنَّ ما جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم- هو الصواب الصحيح مهما كانت الظواهر تدل على خلاف ذلك، لو لم تكن هناك عنده هذه العقيدة، عندما أخاطب أحدًا بكلام النبي -صلى الله عليه وسلم- لا يستطيع أن يحتمله.

مثلًا: في الفتنة الماضية، عندما كُنَّا نقول للناس: النبي -صلى الله عليه وسلم- وَرَد عنه أحاديث كثيرة في وَصْف حال الناس وقت الفتنة، وَوَصَف موقفنا الذي يجب أن يكون، كما وَرَد في البخاري ومسلم، والكتب الستة كلّها، وقد أفرد العلماء كُتُبًا اسمها الفِتَن، حتى تفهم وقت الفتن ماذا تفعل. والكلام صريح، النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً وأُمُورًا تُنْكِرُونَهَا قالوا: فَما تَأْمُرُنا يا رَسولَ اللَّهِ؟ قالَ: أدُّوا إلَيهِم حَقَّهُمْ، وسَلُوا اللَّهَ حَقَّكُمْ» (رواه البخاري٧٠٥٢).

«إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً» بمعنى أناس يستَأثرون بحظوظكم.

«وأُمُورًا تُنْكِرُونَهَا» بمعنى أمور تنكرونها في الدين.

اسمعي ماذا يقول الصحابة: «فَما تَأْمُرُنا يا رَسولَ اللَّهِ؟». «فَما تَأْمُرُنا» بمعنى أنَّ الكلام الذي سيقوله النبي -صلى الله عليه وسلم- الآن أَمْر. يقول لهم: «أَدُّوا إِلَيهِم حَقَّهُمْ، وسَلُوا اللَّهَ حَقَّكُمْ».

هذا الحديث الآن واحد من مِئَة حديث يصف موقفنا في الفتنة. تأتي أحاديث كثيرة تقول: لا تخرج عن السلطان ولو شِبْرًا، هل ترى الشِّبْر، ممنوع عليك أن تخرج، «مَن خَرَجَ مِنَ السُّلْطانِ شِبْرًا ماتَ مِيتَةً جاهِلِيَّةً.» (رواه البخاري٧٠٥٣). هل ترون الحديث إلى أيّ درجة واضح، «دَعانا النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَبايَعْناهُ، فقالَ فِيما أخَذَ عَلَيْنا: أنْ بايَعَنا علَى السَّمْعِ والطَّاعَةِ، في مَنْشَطِنا ومَكْرَهِنا، وعُسْرِنا ويُسْرِنا، وأَثَرَةً عَلَيْنا، وأَنْ لا نُنازِعَ الأمْرَ أهْلَهُ» (رواه البخاري٧٠٥٣). كل هذه النصوص الصحيحة أين تذهب؟ تذهب عند قَلْب من يُعَظِّم السنة فيَقِف عندها.

لكن عندما تلقي هذا الكلام على أحد لا يُعَظِّم السنة، يقول لك: لا.

ممكن أن أَعُدّ لك عشرة مَخَارِج خَرَجَ بها الناس من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم:

أوّل، وأكثر مَخْرَج خَرَجُوا به: لا، هذه أَصْلًا ليست فتنة.

كيف ليست فتنة، والنبي يقول بِخَبَر غَيْبِيّ: «سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً» (رواه البخاري٣٧٩٣). «سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي» ستجدون بعدي. «أَثَرَةً» بمعنى أنَّ الناس يستأثرون بحقوقكم، أي ستُظْلَمُون.

وفي الحديث الثاني: «مَن كَرِهَ مِن أَمِيرِهِ شَيئًا» (رواه البخاري٧٠٥٣). كَرِه وليس أحبَّ، «شيئًا»: هذه نكرة في سياق الشرط، بمعنى أنّها تعم أيَّ شيء يكرهه. كيف لا تكون هذه الفتنة والعلماء كلّهم أجمعوا على أنّ هذه الأحاديث تحت كتاب الفتن، والنبي -صلى الله عليه وسلم- وَصَفَها: «مَن كَرِهَ مِن أَمِيرِهِ شيئًا فَلْيَصْبِرْ». يقول لك: نحن صَبَرْنا.

نقول: النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: «فَاصْبِرُوا حتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ.» (رواه البخاري٣٧٩٢). المدى ليس إلى هنا، إلى أن تلقوا النبي -صلى الله عليه وسلم- على الحوض. هناك أجوبة لكل الأسئلة.

خَرَجُوا من مَخْرَج: هذه ليست فتنة.

مخرج آخر: لا، هذه حال غير الحال الذي نحن فيه.

مخرج آخر: هذه الأحاديث لصحيح البخاري ممكن أنَّ المملكة والوَهَّابِيِّين كتبوها، وجمعوها، هذا البخاري ليس صَحِيحًا، ليس نفسه الذي في أيام البخاري.

إلى أن وصلنا: لا، ممكن أنَّ البخاري نفسه كان قد كَتبَ هذا، وكان هو عَالِم دَوْلة.

وصلوا إلى البخاري في اتّهامه، ... إلى آخره، كل هذه المَخَارِج من أجل أن يخرجوا من النص الصحيح. هذا مبنيٌّ على ماذا؟ ما مشكلتهم الحقيقية؟ هم لا يريدون أن يهربوا من النص بقدر أنّه ليس هناك عقيدة تعظيم سنة النبي -صلى الله عليه وسلم-. لأنّ عقيدة التعظيم غير موجودة، ولا يوجد اعتقاد أنّه الصادق المصدوق -صلى الله عليه وسلم-، وليس هناك إحساس بالتوقير له -صلى الله عليه وسلم-، من أجل ذلك عندما أقول لأحد (كُلْ بيمينك)، ليس في الفتن فقط، بل إلى (كُلْ بيمينك). يقول لك: يمين، يسار، سواء، عنده الأمران سواء، وإن كان قال النبي -صلى الله عليه وسلم- «كُلْ بيَمِينِكَ» (رواه مسلم٢٠٢١). الأمر لا يقع في قلبه تعظيمًا.

هذا جواب سؤال: لماذا نجد جهودًا كثيرة وضَعْفًا في الواقع؟ أنَّنا **لا بد أن نُلَامِس عقائد القوم** أَوَّلًا.

سأعود إلى النقطة التي بدأت بها.. أنا حامل الرسالة، كيف يجب أن أكون من أجل أن أوصِل رسالتي؟

لا بد أن يكون عندي ثلاثة شروط:

الشـــرط الأول: أن تكون العقيدة هذه التي أحملها واضـحة، غاية الوضـــوح. لســـت مُهْتَزٌّ فيهـا، مُهْتَزٌّ في التعبير عنهـا، لا بـد أن تكون مُنْضَبِطَة؛ عقيدتك في الصحابة، عقيدتك في زوجات النبي -صلى الله عليه وسـلم-، عقيدتك في النبي -صـلى الله عليه وسـلم-، عقيدتك في أسـماء الله -عز وجل- وصـفاته، في اليوم الآخر، في القبر، في كلِّ ما يجب أن تعتقده، يجب أن تكون واضحة.

الشـرط الثاني: أن تَسْـتَدِلَّ على ما تعتقد بدليل، والدليل: قال الله، قال رسـوله، قال الصـحابة أولو العرفان. وهذا هو العلم. أنت لكي تتعلم، انْكَبْ على كلام الله، وكلام رسوله، واقرأ ما نُقِل عن صحابته -صلى الله عليه وسلم-.

الشرط الثالث: الأولويات.

ماذا سـتطرح؟ لا بد أن يكون عندك أولويات، لا تأتِ بمسـألة شَـائِكَة، يكون بَحْثُها يحتاج إلى عُمْر، أو مسـألة فيها خلاف، أو مسـألة فيها أدلة ظَاهِرها التَّعَارُض مثلًا، وتطرحها في وسـائل الإعلام، لا بد أن يتعلّم القوم الثوابت القَطْعِيَّة.

أيًّا كانت الوسـيلة، وأنا الآن أتكلم عن وسـيلة تحت يَدَيْك، (البلاك بيري) -مثلًا- أَحَد وسـائل الإعلام تحت يَدَيْك، لكن لا تكتب فيه، ولا

تُرْسِلْ إلّا مَسَائِلًا ثابتة وأَوَّلِيَّة مهمة، يجب أن تَصْلُح، يجب أن تكون موجودة في الأساس لكي نَبْنِي عليها.

أنت الآن جَمَعْت بين الوضوح، وبَيْن الدليل، وبين فقه الأولويات.

أنا من أَجْل أن أَصِل لهذه الثلاثة الشروط ماذا يجب عَلَيَّ أن أفعل؟ نحن اتفقنا أنت ستبدأ باستخدام وسائل الإعلام في نشر العقيدة الصحيحة، عندما تستخدمها في العقيدة الصحيحة لا بد أن تكون معك هذه الثلاثة شروط، إذا **نُشِرَت العقيدة الصحيحة ذاك الوقت -والله- الدليل الواحد يَقَع في قلوب الناس كالسَّهْم**، ويُرْشِدُهم بدون طويل كلام وجَدَل، أقول لهم: قال الرسول -صلى الله عليه وسلم-، على الفور يُطأطِئون رؤوسهم، يقولون: سَمْعًا وطاعة، لكن أين هم هؤلاء، قَوْم سَمْعًا وطاعة؟

فأنت تجد أَيّ أحد بعيد وليس لديه اعتقاد صحيح، تقول له: النبي -صلى الله عليه وسلم- قال كذا. يقول: لكن الواقع، لكن الناس، لكن أنا سمعت. وجَدَل طويل! لماذا الجَدَل؟ **ابْتُلِينا بالجَدَل؛ لأنّ صِدْق المُتَابَعَة غَيْر مَوْجُود**، بمعنى أنَّ الناس ليس في قلوبهم صِدْق مُتَابَعَة.

نرجع مرة أخرى، لماذا صِدْق المُتَابَعَة غير موجود؟ **لأنَّ عقيدة صائبة لم تُنْشَر كما ينبغي.**

إلى هنا يأتي سؤال مهم:

من أجل أن أصل إلى هذه الثلاثة شروط؛ أن يكون الكلام واضحًا عندي، ومعي أدلة، وأعرف ترتيب فِقْه الواقع، **ماذا أفعل؟**

الجواب في الكلام يسير، لكنّه في الفعل طويل: **العِلْم**.

طَلَب العِلْم.

ولذلك الأَلْيَق بكل مَنْ هو في هذا المجال أن يُسَمِّي نفسه، بَدَلًا من أن يكون داعية، **يُسَمِّي نفسه طالب عِلْم؛ لأنّ طلَب العلم هو الشَّرَف**.

أن تكون طالب عِلْم هذا شَرَف لك، الملائكة تضع أجنحتها لك، لماذا؟ رِضًا بما تَفْعَل، انظر الفارق الشاسع في قلبك عندما تشعر أنَّ الحيتان في البحر تستغفر له، والحيتان أنتم تعرفون أنّ الحوت أضخم مخلوق موجود على البر والبحر -ارتفاعه، وحجمه، إلى آخره، اقرأوا عنه-، ثم عندما تقرأ عنه اعْرِف أنَّ هذا الحيوان الضخم في المحيطات يستغفر لك، كل مرة تجتمع فيها لطلب العلم -بِغَضِّ النظر عن الخروج؛ لأنّ الإعلام الحديث يَسَّر علينا الاجتماع بدون خروج-.

بل حتى النملة، وعُدّ النمل في الأرض، كل النمل الذي في الأرض يستغفر لك، بل وأعظم من ذلك ملائكة السماء، لماذا؟ لأنّ هذا

العمل الذي هو طَلَب العِلْم غاية في الشرف، وهو مُنْطَلَق إصلاح المجتمع، ولو لم يكن هناك عِلْم، أنا على أيِّ شيء اسمى داعية؟ إذا لم يكن معي عِلْم، سأخرج أُكَلِّم الناس عن ماذا؟ وأنت لست داعٍ إلّا إلى الله، ولن تتكلّم عن الله إلّا إذا عَرَفْت الله، وعَرَفْت ما يُحِبّ الله، ولن تعرف الله وما يحب الله إلا إذا تَعَلَّمت.

ولذلك في مواقف كثيرة أجد نفسي أقف أمام الناس، وأُكَلِّمهُم عن موضوع حَضَّرْته، وبعد ذلك يأتي أحد يسألني في الوسط: ما معنى اسم (الصمد)؟ اشرحي لنا ما معنى (الرب). أجد نفسي في المسائل الأَوَّلِيَّة ... ليس عندي علم، انظري إلى سورة الإخلاص التي أُكَرِّرها كم مرة في اليوم، وسورة الناس التي أُكَرِّرها كم مرة في اليوم، وآية الكرسي التي أُكَرِّرها كم مرة في اليوم، والفاتحة التي أُكَرِّرْها كم مرة في اليوم، عندما آتي أَعُدّ الأسماء التي فيها، وأريد أن أعرف، أنا كم مرة تَعَلَّمت عنها، لأنّ هناك أُناس ربّنا أعطاهم الطلاقة في الكلام، سيتكلمون من عندهم، لكن **هل كل من تَكَلَّم أَحْسَن؟** لا يُحْسِن إلّا مَن بَنَى كَلَامَه على عِلْم، وأَخْلَص في كلامه.

يجب أن يكون الشرطين:

١) تكون **تبني كلامك على عِلْم**.

٢) وتكون **مُخْلِصًا حال الكلام**.

لكن تعالوا لهذه الأَوَّلِيَّة التي لا نَنْفَكّ عنها، أَوَّلِيَّة **العِلْم عن الله:**

أين نحن منها؟ ما موقفنا منها؟ إلى أيّ درجة نحن نَبْحَث ونُرَتِّب كل مرة، ونُرَاجِع أسماء الله -عز وجل-، ولأيّ درجة نحن نَضْبِط الأدلة التي تشرح لنا هذه الأسماء؛ لأنّ الاسم الواحد في كتاب الله مليء الإشارة إليه.

بمعنى لو أنّي آتي مثلًا أريد أن أشرح اسم (العليم)، وأقول: العليم معناها: إثبات صِفَة العِلْم لله -سبحانه وتعالى-، وعِلْمُه -سبحانه وتعالى- لم يُسْبَق بِجَهْل، ولا يَلْحَقُه نسْيَان، والدليل قوله تعالى: ﴿فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى﴾ [طه:٥٢]. ﴿لا يَضِلُّ﴾: لَمْ يَجْهَل، ﴿وَلا يَنسَى﴾: لا يأتيه النسيان. فحَتَّى تَعْرِيفِي للاسم سيكون عليه دليل، فأين أنا من هذا الأمر الذي يُعْتَبَر مِنْ أُسُس اعتقادنا، بل تعالوا نرَاجِع أواخر سورة الطلاق، ونجد أَنَّ الخَلْق ما خُلِقُوا إلّا لهذا الأمر، وهذا الأمر هو الذي يجلب العبادة، ماذا يقول الله -عز وجل- في أواخر سورة الطلاق؟ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا﴾ [الطلاق:١٢].

﴿لِتَعْلَمُوا﴾: هذه لام التعليل، تُعَلِّل خَلْق السماوات، والأرض، ونزول الأمر القَدَري والشرعي كلّه؛ لماذا أُرْسِل الرسل، لماذا هذه التدابير كلّها، لماذا هذه الأوامر الشرعية كلّها، والقَدَرِيَّة؟ الجواب: ﴿لِتَعْلَمُوا﴾. لِنَعْلَم ماذا يا ربنا؟ ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق:١٢].

ثُم في ثلاثين مَوْطِنًا في كتاب الله -بل وأكثر- يقول الله -عز وجل-: فاعْلَم...، اعْلَم...، اعْلَمُوا...، وتَجد بعدها كلّها كلام عن أسمائه -سبحانه وتعالى- وصفاته، ثلاثين مرة أمرك في كتابه -ورُبَّمَا أكثر- أن تَتَعَلَّم عنه، وهذا من أصل اعتقادنا.

وكثير من الناس عندما أتت الأزمة التي مَرَّت بها الأمة في سَبِّ المصطفى -صلى الله عليه وسلم-، تَصَرَّفُوا تَصَرُّفًا حَسَنًا، فانتصروا له -صلى الله عليه وسلم- وأظْهَرُوا فَضْلَه، وأَظْهَرُوا صفاته -صلى الله عليه وسلم-، لكن عندما تنظر في ما حَدَث، تجد أنَّ كثيرًا مِمّن دَخَل هذه الأزمة، وتَصَرَّف فيها، ربّما يعرف النبي -صلى الله عليه وسلم- أكثر ممّا يعرف الله، صحيح؛ لأنّهم تَعَلَّمُوا، وقَرَأوا، وَنَشَرُوا، وقام بِلَوْحَات، وكَتَب رسائل بريدية كلّها عن النبي -صلى الله عليه وسلم- من أجل نُصْرَته، هذا جميل، انصر النبي -صلى الله عليه وسلم-، لكن **قاعدة نُصْرَتك للنبي -صلى الله عليه وسلم- مَعْرِفَة الله.**

ولهذا تَجِد لو أنَّ أَحَدًا سألك: ما معنى (سبحان الله)؟ ما معنى (الله أكبر)؟ تَجِد نفسك لا تعرف أن تجيب. تقول: لماذا نحن بعد الصلاة، بعد الاستغفار، نقول: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ» (رواه مسلم٥٩١). ما معنى اسم (السلام)؟ وما علاقته بحياتنا، ولماذا بعد كل صلاة نَذْكُره؟ كل هذه عَلَامَات استفهام.

لا يَصْلُح أن أَبْقَى في هذا الطريق، بل لا يَصْلُح أن أَصِف نفسي بِصَلَاحِي لهذا الطريق، بل أعلى من ذلك، لا يَصْلُح أن يكون الإنسان مُؤْمِنًا قَوِيَّ الإيمان وهو لا يعرف ما تَكَرَّر عليه من أسماء الله، أنا أُكَلِّمك عن الذي تَكَرَّر علينا من أسماء الله، لا نعرفها، لا نفهمها، لا نَعْرِف أَبْعَادَها.

في دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم- الذي كان يدعوه في الليل، ثم يأتي في سياقه: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فليسَ قَبْلَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فليسَ بَعْدَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فليسَ فَوْقَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فليسَ دُونَكَ شَيءٌ»، ثم ماذا تطلب؟ «اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الفَقْرِ» (رواه مسلم٢٧١٣). فما العلاقة؟ ما معنى الأول والآخر، والظاهر والباطن؟ وما علاقته بالدَّيْن؟ وما معنى الدَّيْن؟ وهل هو الدَّيْن؟ هناك أناس كثيرون ليسوا مَدْيُونين، لماذا يدعون هذا الدعاء؟

كل هذه أسئلة استفهام. معنى ذلك، أنا مطلوب منّي أن أُمْسِك خريطة يومي، وألاحظ الأشياء التي أُكَرِّرها، وأقولها، وأعتبرها هي الأساس الذي يُبْنَى عليه طَلَبِي للعِلْم، لا أُشَتِّت نفسي، أَوَّل شيء: تَعَلَّم الشيء الذي تُمَارِسه، وهذا عندما تَتَعَلّمه، وتُتْقِنه، ومع المُمَارَسَة لن تنساه، سيُصْبِح واضحًا في أدلته، وهو من الأولويات.

الشيء الذي نحن نقوله كل يوم، أليس هو من الأَوْلَوِيَّات؟ بلى، الشيء الذي كل يوم نمارسه أكيد أنّه من الأولويات.

أصْلًا لماذا يُقَال لك كل يوم: قُلْ لِنَفْسِك، وذَكِّر نفسك، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١-٤]؟ مِن أَجْل أنّك عندما تَمُرّ بأَقَلّ المواقف لا يَفْزَعُ قَلْبُك إلّا إلى الصَّمَد، الذي تَصْمد إليه القلوب، الكامل في صفاته -سبحانه وتعالى-، الذي كل حاجات الخلق بِيَدِه. فكَأَنَّك كل مرة بعد الصلاة، تقول، وتُذَكِّر نفسك: أنا لِي واحد، أَيّ نَقْص يحصل لي، المطلوب مني ما إِنْ ينقص عَلَيّ شيء أَفْزَع بقلبي إليه، فهو صَمَدِي وحده لا شريك له.

وهكذا تَتَحَقَّق الغاية العُظْمَى، وهي أن تكون عَبْدًا مُوَحِّدًا، (عَبْدًا) هل ترون هذه الكلمة؟ التي نحن دائمًا نقول: ما غَايَة الخَلْق؟ أن

يكونوا عِبَادًا، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، متى ستكون عَبْدًا؟ لن تَشْعُر بالعبودية إلّا عندما تعرف المَلِك الذي أنت عَبْدٌ له. الآن هناك عَبْد، وهناك مَلِك، هذه العُبُودِيَّة وَصْف لنا، نحن الآن عَبِيد لِمَلِك عظيم، مَنْ هُو هذا المَلِك؟ وَصَفَ نَفْسَه -سبحانه وتعالى- في كتابه بما يُغْنِيك، بما يجعلك تفهم أنَّه شَرَف لك أن تكون عَبْدًا له، بما يجعلك تَفْتَخِر بالعبودية له، أَلَم تسمع في آية الحشر، المَلِك يصف نفسه أنّه: ﴿الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾. هذه كلّها صفات المَلِك، ثم بعدها يقول -سبحانه وتعالى-: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر:٢٣]. يُسَبِّح نفسه، بمعنى: كَيْف يَمُرّ بِخَاطِرك أن تجعل غيره في قلبك مثله؟ كيف يمكن أن تُسِيئ فيه الظَّن؟ كيف يمكن وهو القدوس، الذي صفاته كلّها صفات كمال، وهو السلام الذي سَلَّم عِبَادَه من كل شر، وهو -سبحانه وتعالى- سَالِم، صفاته سَالِمة من النقص والعيب، كيف يمكن أن تنتظر من أفعاله شَرًّا؟ كيف تُسِيء الظن؟

ولذلك الله -عز وجل- يقول: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ﴾ [فصلت:٢٣]. مِنْ أَيْن ظَنُّوا؟ مِنْ أَيْن أُتُوا؟ مِن ظَنِّهِم. مِن أَيْن كان ظَنُّهُم ظَنَّ سوء؟ مِنْ جَهْلِهِم.

ربما يكونون معذورين بِجَهْلِهِم؟ لا، كيف هم معذورين بِجَهْلِهِم؟ أليسوا يُكَرِّرُون سورة الإخلاص؟ أليسوا يُكَرِّرُون سورة الناس وسورة الفلق والفاتحة، وآية الكرسي؟ كيف يكون مَعْذُورًا وهو يعرف عن ربه أنّه حَيّ قيوم، لا تأخذه سِنَة ولا نوم، ويقول لك القيوم في وصف قَيُّومِيَّته -سبحانه وتعالى-: مَن يُمْسِك السماء أن تقع على الأرض؟ أجيبوني؛ مَن يُمْسِك السماء أن تقع على الأرض؟ لا يُمْسِكها إلا القائم عليها -سبحانه وتعالى-.

ولذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: «إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ لا يَنامُ، ولا يَنْبَغِي له أنْ يَنامَ» (رواه مسلم١٧٩). بمعنى لا يليق به، لماذا؟ لأنه -سبحانه وتعالى- قائم على كل شيء.

هل رأيت السفينة؟ إنها تجري في البحر بأمره، هل رأيت الشمس؟ هي لا تُشْرِق عند أرض أحد إلا عندما تَسْجُد عند عرشه، فتستأذن منه، فتُشْرِق على ما كَتَب -سبحانه وتعالى-، ونحن رأينا دقيقتين ماذا فعلت بدولة، دقيقتين هَزَّ الله -عز وجل- فيهما الأرض، زُلْزِلَت الأرض، فاختفت دولة، وقبلها في هاييتي ثلاثون ثانية -أي بمقدار طَرْفَة العين- تسقط دولة، ويُشَرَّدون بالآلاف، من كان يحفظ هذه الأرض أن تهتز؟ القيوم -سبحانه وتعالى-، الذي لا تأخذه سِنَة ولا نوم.

ومن أجل ذلك أنت تقول هذه الآية قبل أن تنام، لماذا؟ تُذَكِّر نفسك، أنّك ضعيف، ستنام وستبقى في حِفْظ من لا تأخذه سنة ولا نوم، فكما حَفَظَك، وقَلَّبك، وقَلَّبَ بَدَنك ألّا يَأْكُلْه ما يَأْكُله، وفَعَل، وفَعَل، واقرأ في التقارير كيف أنَّ الإنسان يَتَقَلَّب في نومه، وكذا، وكذا، ومن أجل كذا، وكذا، كل هذا الكلام، مَن وَفَّرَه لك؟ القيوم القائم عليك، وأنت تعرف جَيِّدًا أَنَّ كل نبضة قلب لا تنبض إلا بأمره - سبحانه وتعالى-، أسأل الله أن يحفظ الجميع، ثم إذا شاء تَجَلَّطَت نقطة دم بمقدار ٢ ملم، أي بمقدار رَأْس الدبوس، وتحدث ما يُسَمُّونَها بالجلطة القلبية، هل رأيت؟ بمقدار رأس الدبوس، هذه من أَجْراها ومَن جَلَّطَهَا؟ الذي يملكها.

فتخيّلْ إلى أيّ درجة **نحن محتاجون أن نعرف عنه، من أجل أن تستقيم الحياة**.

فهذا كلّه يرجعنا على نفسنا، ويجعلنا نقول: إذًا إلى ماذا سندعو؟ كيف سأستعمل الإعلام؟ كيف سأستعمل الوسائل؟ قبل الوسائل وقبل الإعلام وقبل هذا كلّه لا بد أن يكون معي العِلْم، لكي يكون هذا الكلام الذي أرسله في وسائل الإعلام دعوة حق.

لا تَقُلْ صوتنا ما وَصَل، فالآن مع الوسائل الحديثة الأصوات تَصِل إلى آخر العالَم، بل في هذه الدولة اليابان، الناس كانوا يسمعون دروسًا تُلقى في المملكة، في آخر الدنيا، معنى ذلك أَنَّ الصوت أصبح مَسْمُوعًا، لكن ماذا معك من أجل أن يُسْمَع صوتك أصلًا؟ والثغرات كثيرة، ثغرات كثيرة وأبواب الإعلام كثيرة، والتجمعات كثيرة، والناس فيهم من الخير ما يجعلهم يريدون أن تأتيهم كل وقت، لكن أنت ما الذي معك حتى تَصِل لهم؟ وَفَّر الله -عز وجل- لنا وسائل الإعلام، ووُفِّرَت بكل الطُّرُق، وبعد ذلك، ما الذي عندك لكي ترسل إلى الناس؟

لا بد -كما اتفقنا- أن نبدأ بنقطة البداية المهمة، طَلَب العِلْم. وعندما تطلب العلم لا تدخل في مسائل وضياع وتفاصيل، **اطلب العلم ومعك أَوْلَوِيَّات**، والأوْلَوِيَّات تبدأ بما تُمَارِسُه يوميًّا، ونحن اتفقنا أنّنا قبل أن نتكلم عن الممارسة العَمَلِيَّة نتكلم عن المُمَارَسَة القلبية، فأنت طوال الوقت إما مُحْسِن الظن بربك، أو عكس ذلك، من أين آتي بالإحسان، ومِن أين عكس ذلك؟ كلّه بمعرفته -سبحانه وتعالى-.

اتّفَقْنَا أنّ:

هناك ثلاثة شـــروط لكي أســـتخدم الإعلام وأرســـل فيه عقيدة صحيحة:

١) أن تكون العقيدة واضحة عندي.

٢) ومعي دليل.

٣) وأنا أفهم فقه الأولويات.

ولكي أصـــل لهذه الثلاثة، نقطة البداية: لا بد أن يكون معي عِلْم، وعلى هذا الأنسب لنا كلّنا، الأنسب لاسمنا، وكل من شَقَّ هذا الطريق، ومَنَّ الله عليه بِشَـــقِّه، أن يفتخر باســـم **طالب علم**، وأن يُحَقّق هذا الاسم، أن يكون حقًّا طالب علم، عندما نأتي نتكلّم عن خطة الطلب، لا بد أن تكون خطة منطقية. لا أنّه يخرج، ويسـبَح في أمور، وهو بعيد عن الأولويات، حتى في طَلَبِه لا بد أن يكون هناك خطة واضحة، وفيها فقه الأولويات.

هل تريد أن تُكَلِّمني أنّي يجب أن أعرف الروافض، وشـــرّهم.. وأنا أصول مُعْتَقَدِي لا أعرفه؟

هذا الباب، المســـألة منطقية، أنت أوّلًا أسِّـــس نفســـك بالمُعْتَقَد الصواب، **عندما تؤسِّس نفسك في المعتقد الصواب ستُرْزَق أمريْن مَعًا:**

الأمر الأول: **أنَّ الله -عزوجل- سيهديك لِأَحْسَن الأقوال والأفعال.**

الأمر الثاني: **ستكون معك بصيرة.**

سيكون معك بصيرة، سَيُرِيك الحق، فأنت أوّلًا لا تَسْبِق في معرفة الباطل؛ لأنّه كم شخص تَعَرَّف على الباطل ومعه عقيدة مهزوزة، ماذا تكون النتيجة؟ على أقل تقدير هو سيكون مَهْزُوزًا.

فكأنّنا نقول: معرفة الباطل بتفاصيله، كثير مِنَّا كُفِيهَا أَصْلًا، كُفِينَا أن نتكلم مع أهل الرَّفْض، كُفِينَا أن نتكلم مع أهل التَّصَوُّف، يوجد غيرنا ناقش، وَرَدَّ، وفَعَل، أنا ما زلت أَحْبُو في الطريق، فقبل أن أتكلم عن الباطل، يجب أن أُثَبِّت الحق، وسيأتيني هذا الكلام، أنه ماذا ستستفيد عندما تمشي في خط واضح، وتعرف الحق تمامًا، ماذا سيأتيك.

وهذا الكلام كثيرًا ما يقوله أهل العلم: أَنَّ الإنسان لو علم وعَمِل بما يَعْلَم لَعَلَّمَه الله ما لا يَعْلَم. لكن نحن دعونا نبدأ أوّلًا بالسلسلة المنطقية.

الفترة الثانية:

لا زلنا نتناقش في هذا الموضوع المهم، وهو موضوع الدعوة والإعلام، وفي الفترة الأولى تناقشنا في مسألة الدعوة، ومَن هُم أهلها، وماذا يجب عليهم، واتفقنا أنَّ **الاسم اللائق بأهل الدعوة أن يكونوا طُلَّابًا للعلم؛ لأنّ هذا الاسم سيُحَقِّق أمرين:**

سـيُحَقِّق أوّلًا **الدخول تحت الأجر العظيم، وهو ما وَعَد به النبي -صلى الله عليه وسلم- في أحاديث كثيرة أَجْرًا لطالب العلم.**

ومِن جهة أخرى، **الدَّاعِي لا يمكن أن يكون دَاعِيًا إلا إذا كان معه عِلْم**، وإلّا إلى ماذا سيدعو؟ إذا لم يكن له من العلم نصيب، إذن ليس له في الدعوة نصيب.

واتفقنا أنَّ الواقِع يَشْـهَد على ذلك، فكم تَصَـدَّر أشـخاص مجالس الدعوة، فبَدَلًا من أن تكون مجالس الدعوة أَجْرًا عليهم أصـبحت وِزْرًا عليهم، لماذا؟ لأنّهم تَكَلَّمُوا على الله بلا عِلْم.

وأشَـرْنَا إلى أنَّ اليوم الدعوة لا تَسْتَلْزِم الخروج، بمعنى أنّه **لا يُشْتَرَط أن تخرج من بيتك لا للطَّلَب من جهة، ولا للدعوة من جهة أخرى**، لا يُشْـتَرَط بمعنى أنّنا الآن في مرحلة يمكن بَدَلًا من أن أَخْرُج خمسـة أيام من أصـل سـبعة أيام للطَّلَب والدعوة، تنخفض هذه الخمسـة أيام

تصير ثلاثة أيام، ممكن تصل أن تصبح يومين، سواء كنت في الطَّلَب أو كنت في الدعوة. معنى ذلك أَنَّ وسائل الإعلام الحديثة سَهَّلَت على المرأة بالذات أن تكون داعية، سَهَّلَت عليها، وسأصف لك بعض الطُّرُق، ولقاؤنا ليس من أجل وَصْف الطُّرُق، هذا الموضوع يحتاج إلى جُهْد أكثر، أو تَخَصُّص أكثر، أو رغبة أكثر، لأنّنا لسنا كلّنا لنا نفس التَّوَجُّه في رغبة التعامل مع الشبكات ومع الإلكترونيات، لكن أنا فقط من أجل أن أُقَرِّب لكم الصورة.

مِن أعظم النعم التي أنعم الله بها علينا حديثًا في وسائل الاتصال والإعلام: **الغُرَف الصوتية**، فهذه الغُرَف الصوتية تربطك أنت يا طالبة العلم يا داعية بالعالم الخارجي، في كل مكان أيًّا كان.

وقد وجدنا نساءً أسلموا في فرنسا، وفي كندا وكان سبب ثباتهم على الإسلام هذه الغُرَف الصوتية، يتعلمون عن مَن؟ ويسمعون مَن؟ يسمعون العلماء من كل أنحاء العالم.

فمعنى ذلك أَنَّ الغرفة الصوتية وهي عبارة عن غرفة افتراضية للمحادثة، فأكون أنا في بيتي الآن، وهذا الجهاز أمامي، وكل أحد مِنْ مَوْطِنه، من مكانه، مِن بَلَدِه، من بيته، يدخل إلى نفس الغرفة الصوتية، يسمعونك وأنت تتكلم، وأنت تستطيع في بعض أنواع

الغُرَف أن تسمعهم، ويشاركونك الحديث في نفس الوقت، وفي بعض أنواع الغرف أَقَل من ذلك، هم يتكلمون وأنت لا تتكلم، وفي بعض أنواع الغرف أقل من ذلك، أنت تتكلم وهم يكتبون.

المهم في النهاية كأنّنا حَقًّا في غرفة واحدة، مع أنَّ كل واحد منّا يكون في بلد آخر.

سنرجع مرة أخرى، هذه الوسيلة العظيمة، بماذا يجب أن تستعد لاستعمالها؟ العِلْم. نرجع لنفس الأمر، هذه الغرفة التي تربط الناس من أماكن بعيدة، هي نفسها مِثْل هذه القاعة التي تجمعنا بالضبط، لو ما كان عندك عِلْم، لا تستطيع أن تتكلم هنا، ولا تستطيع أن تتكلم هناك.

لا زلنا نقول: وسائل الدعوة التي أُتِيحَت اليوم تُسَهِّل إيصال رسالة الإسلام الحق، لكن العبء الآن ليس في سماع صوتنا، الآن لا يوجد عذر، لا نعتذر أنَّ صوت الباطل أقوى من صوت الحق، ونقول ليس تحت يدنا وسائل إعلام، ولا نعتذر نقول: تَمَلَّك أهل الشر وسائل الإعلام. **اليوم أصبحت الفرصة مُتَكَافِئَة تمامًا**، بحيث أنَّ أيّ موقع، أو أيّ غرفة صوتية، ... إلى آخره، يمكن أن يُنْشِئه أهل الخير، ويمكن أن ينشئه أهل الشر. فأصبح عذر أنَّ صوتنا لا يصل عُذْرًا غير مقبول.

وأيضًا اترك عن صوتك، فهناك مكتوبك، **قَلَمك**، الواحد الآن فينا يمكن أن يكتب مقالة من خمسة أسطر وتصل إلى نهاية العالم في نفس الدقيقة التي يرسلها فيها. ومعنى ذلك، أنا مسكت ورقة وقلم، لو كنت لا صوت لي، افترض أنك شخص لا تعرف أن تتكلم، لكن أعطاك الله -عزّ وجل- قَلَمًا، ممكن أن يكتب هذا القلم شِعْرًا في محبوب ومعشوق وينتشر، وممكن أن يكتب هذا القلم عِلْمًا عن الله وعن رسوله وعن المنهج الحق، ويَنْشُر سنة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهذا لا يستغرق منك إلّا تَفَرُّغًا، حتى أنّه ليس كُلِّيًا، بل جُزْئيًا، على قَدْر كتابة الخمسة السطور هذه.

انتهينا الآن من النقطة الأولى: **صوتك وقلمك يصل إلى العالم**، كن مؤمنًا بذلك، والآن لا عُذْر لنا أن نقول أَنَّ صوت الحق لا يُسْمَع لأنّ أهل الشر سَيْطَرُوا، هذا العذر انتهى.

بقي أن نسأل بعد ذلك، نقول: أنا ليس لي في هذه الوسائل، إمّا هذه نفسيتي، أو أنا بلغت من السن ما لا يسمح لي بالتَّعَلُّم، أو ليس عندي وقت، ... إلى آخره، أيّ سبب، نقول حتى هذا ليس عُذْرًا، ليس شَرْطًا أن تَتَعَلَّم أنت، كثير من البيوت تحمل شبابًا مُدْمِنِين على النت، وإذا ما كان ولدي أو ابنتي، فولد الجيران وبنت الجيران. بمعنى أنّه ما الذي عليك اليوم؟ ماذا تفعل؟ هاتي هذه البنت، وقولي لها: اسمعي، قالوا

هناك شيء اسمه غرفة صوتية، اخرجي لي ما هو هذا الشيء، وافتحيه، وأوصليني إلى نهايته، وأصير أنا ليس عليّ إلا أن أتكلم، لو كنت مُتَكَلِّمًا، أو أكتب لو كنت كاتبًا.

فإذًا **ليس شَرْطًا أن تتقن**، لا تخرج من اللقاء أنّه يجب أَتَعَلَّم كيف أدخل، لا ليس لازمًا، هناك طُرُق كثيرة تُيَسِّر عليك الأمر، وأيضًا سأعيد الملاحظة التي قلتها في الفترة الأولى: أَنَّ **استخدام وسائل الإعلام الحديثة في إيصال الحق لا يعني أبدًا أن تسمح لنفسك بأن تَنْجَرّ للباطل أبدًا**، أنت تستطيع أن تستخدم وسائل الإعلام الحديثة في الصحيح من الأمر، وتترك الباطل من الأمر، بمعنى أنّه لا بد أن تَحْكُم نفسك في استعمال الوسائل الحديثة، وإذا ما استطعت أن تَحْكُم نفسك، أو ما استطعت أن تتعامل معها، الآن يوجد عندي وسائط، والوسائط هذه حولي كثير، اليوم ممكن أنّ طالب المرحلة المتوسطة، وربما المرحلة الابتدائية يحسن التعامل مع هذه الوسائل بكل سهولة. فمعنى ذلك أنّه بقي علينا أن نعتني ونهتم بهذه الوسائل.

إلى هنا: أتعلم أوَّلًا، وأهم شيء أتعلم العقائد الصحيحة من أجل أن أستغل وسائل الإعلام الحديثة، ثم إنَّ هذه الوسائل الحديثة يمكن أن يُنْشَر بها الحق بالضبط مثل ما يُنْشَر بها الباطل، ويمكن أن يُنْشَر

بها ذِكْر الله كما يُنْشَـــر بها الأشـــياء المَاجِنَة والفســـق والفجور، على حسب ماذا؟

بقي عليّ الآن أن أســـأل ســـؤالًا: ماذا أحتاج من طَلَبَة العلم الذين معهم عقائد صحيحة وتَعَرَّفُوا على الوسائل الحديثة، ماذا أحتاج؟

أحتاج هِمَّة عالية.

يأتي الكلام حول الهمة، أنا أحتاج همة عالية، أنا شـخص معي عقيدة صحيحة، ومعي وسائل حديثة، أحتاج هِمَّة عالية.

هنـاك أربع خطوات توضـح من أين تـأتيني هـذه **الهمة العالية** لاستخدام هذه الوسائل الحديثة:

أوّلًا: **نحن مشـغولون في لا شـيء**، حَقًّا، ندور حول أنفســنا، وهذا الكلام عندما أقوله لا بد من اســتثناء، إلّا من رحم ربي، لكن الغالب أنّنا ندور حول أنفسنا، ما السبب؟

الجواب: **بسـبب سَـقْف أماني الدنيا العالي، وسـقف أماني الآخرة المنخفض.**

كل واحد فينا عنده أماني، تعال انْبُشْ أَمَانِيك، ستجد أنّك في الدنيا عندك سـقف أماني عالي، مثلًا: تسـكن في إيجار وتريد تمليكًا، عندك سيارة وتريد أخرى، ليس عندك سيارة وتريد سيارة، لست ساكنًا في

شـــقة فتريد شُـــقّة، عندك شـــقة فتريد تمليكًا، عندك واحدة فتريد اثنين، سقف الأماني في الدنيا يرتفع شيئًا فشيئًا.

تَعَالَ ابحثْ في ســقف أماني الآخرة؟ لســان حاله: الآخرة في الآخرة، غَفْلَة تامة، حقيقة، وأنا لا زلت أقول إلا من رحم ربي، لكن أنا أتكلم عن الوضــع العام الذي نحن نعيشــه، ونحن نمارس الدعوة، هذه المشكلة، ولكي تعرف الدليل على هذا: أنَّ كل مرة يخطر على بالي أمنية دنيوية أَفْزَع لتنفيذها، أو إذا ما قدرت أن أفزع لتنفيذها، أُسَــجِّلْهَا في دفتر ملاحظاتي، أو في عقلي، مثلًا: لا تنسَ، هذا المطعم أكله كذا وكذا، نحن اليوم مَرَرنا لم نســتطع الشــراء منه، لكن -إن شــاء الله- آخر الأسبوع لا بد أن أشتري منه. وقِسْ على هذا.

جماعة الأكل في الأكل، وجماعة الفَرْش في الفَرْش، وجماعة اللِّباس في اللِّباس، وجماعة المكياج في المكياج، ... وعُدّ، عُدّ كل واحد، جماعة التخزين في التخزين؛ لأنّه ما زال هناك أناس يُخَزِّنُون، هذا اتركه عندما ننقل -إن شاء الله- البيت الجديد، هذا سأشتريه هذه السنة لأنّ ابنتي السنة القادمة في العيد من أين أجد لها. وكل هذه الخرائط، كلّما جاءت أمنية وخاطرة للدنيا صارت فيها استجابة، إمّا سريعة، وإمّا متوسطة السرعة.

تعالوا نرى عندما يَمُرّ على خاطري آية في كتاب الله ولست فاهمًا لها، أقول: إن شاء الله، سأبحث عنها في التفسير، وهذه (إن شاء الله) طويلة المدى، إلى أن أنسى، ممكن في رمضان ٢٠-٣٠ آية مَرَّ في خاطري أن أعرفها، خَرَجْت من رمضان، ولا واحدة منها عرفتها. كم مرة مَرَّت علينا أحاديث نبوية في الإذاعة ونحن نمشي في السيارة، وحديث غريب معانيه، وأنا لا أعرف معانيه، أقول: إن شاء الله-أبحث عنه. وكلّه على المدى الطويل الذي لا يتحقق، هذا يساوي ما عَبَّرْنَا عنه في البداية، سَقْف أماني في الدنيا عالٍ، وسقف أماني في الآخرة منخفض.

وعندما نصف لك الدينا وَصْفًا دقيقًا، أنت عندما تدخل قبرك لا زلت حيًّا، أنت لا تسمع كلمة موت وتحسب أنّ هناك لا شيء، أنت حي، لكن في الدنيا أنت حي ومعك مَنْ يُؤْنِسَك، في قبرك أنت حَيّ لكن ليس هناك مَن يُؤْنِسَك إلَّا عَمَلَك الصالح، فَفَكِّر بهذه الطريقة، ثم ماذا تفعل؟ استعد، علم نفسك.

فأنت تجد أنَّ **سَقْف أماني الدنيا العالي، وسقف أماني الآخرة المنخفض سَبَبُه تَرْك عبادة التَّفَكُّر**، هذه العبادة مَتْرُوكة، تركنا التَّفَكُّر، تَمُرّ عليك أحداث، يعاملك الله -عز وجل- باسمه الرب، يربّيك، يُعِيد عليك، ويُعِيد عليك، وفي النهاية ما هي النتيجة؟ لا أفكر فيما يمر عليّ، لا أتفكر، لا أرى ربي كيف يُرَبِّيني.

أتعلم ما معنى اسم الرب؟ الرب بمعنى المُربّي، الذي يُرَبّي عباده، يُحَوّلهم من حال النقص إلى حال التَّمام بما يُجْرِيه عليهم من أقدار، يقول: يا عبادي، تَأَمَّلُوا، تَفَكَّرُوا، انظروا كيف تَجْرِي الأحداث التي تخصّك قبل التي تَخُصّ العالَم؛ **لكن الناس بين أمْرَيْن:**

الناس إمَّا أعمى، وإمّا بصير. والأعمى هذا بقَدْر ما يُرَبِّيه ربُّه، قَدْر ما لا ينتفع، فهو أعمى، لا ينتفع. والبصير بقَدْر ما يُرَبِّيه ربه، حتى لو بمقدار الشعرة، يعرف كيف يُتَرْجِمها.

تحكي لي أخت كانت في أحداث اليابان وقت الزلزال، من أرامكو السعودية، كانت هناك بعثة من المملكة في اليابان، مكثت سنتين في اليابان، وتقول: كلّما رأيت شيئًا في السوق وكذا، أشتري وأُخَزِّن، وأقول هذا أحتاجه عندما أذهب للسعودية، وهذا كذلك، وكانت هي في المنطقة القريبة من منطقة الإشعاع، عاشوا الزلزال، وليس فقط الزلزال، أيضًا كانوا قريبين من منطقة الإشعاع. حكت قِصَصًا ولا في الخيال، الناس كأنّهم عاشوا يوم القيامة، لكن أنا سآتي فقط بشاهد بسيط من الموقف الطويل.

تقول: قبل هذا الحَدَث بأيّام، جَمَعْت حقيبة من الملابس الشتوية من أجل الصدقة، وضعتها قريبًا من الباب، وعندما صار الحدث

وجرى الناس، وكل واحد يهرب على بلده، ليس هناك وقت الآن، لا أن تجمع، ولا أن تُرَتّب، ولا أن تعمل أيّ شيء، خمس ساعات، إذا ما وصلت إلى المطار، طارت الطيارة وانتهى، وبعد هذا ليس هناك طيران، هذه الخمسة ساعات فقط بمقدار المسافة بين بيتها ومكان المنطقة التي هي فيها، تخرج من اليابان بعد سنتين، فقط بحقيبة الصدقة، لا غير.

وكأنّه يُقَال: هكذا أنت ستخرج من الدنيا، فقط بما قَدَّمْتَه بين يديك.

وتقول: هذا درس لا يمكن أن يُنْسَى، انظري، كل هذا الذي جمعته. حتى عندما رجعت، لا تستطيع أن تجلبه، لأن كل شيء جاءه غبار الإشعاع يُدْفَن.

ومن عجيب المواقف عندهم، أنتم تعرفون أنّه من ديانتهم المَيِّت يُحْرَق، فالآن لا يستطيعون حَرْقَه، فاضطروا خِلَافًا لدِيَانَتِهِم أن يدفنوه؛ لأنّ الذي يُحْرَق سيَتَطَايَر أثر الإشعاع منه، فاضطرُّوا - آسِفِين- أن يدفنوا مَوْتَاهم، فلا يَحِق إلَّا ما هو حق.

المقصد، نحن لا زِلْنَا في ذاك الشاهد، الذي تَفْهَم منه أنَّ الله -عز وجل- يُرَبِّي عباده، يُعَاملهم باسمه الرب، يُصَوِّر لهم كُرَب الآخرة بما يعيشون من كُرَب بسيطة في الدنيا.

نحن كم مرة عشنا كربة هكذا، هذا زعلان، وهذا سيأخذ مني موقفًا، وهذا ظلمني، وهذا فَعَل، وهذا سيأتي بتهمة عَلَيّ، وأنا أبقى مكروبًا خائفًا أن يقع عليّ كذا وكذا، كم مَرَّت علينا في الحياة هذه المواقف؟ كثير. **كم مرة اعْتَبَرْنَا من كُرْبَة الدنيا بِكُرْبَة الآخرة**، وكيف أنَّ الذي فَرَّجَهَا هنا هو الذي يُفَرِّجُهَا في الآخرة.

فأنت كلّما جاءتك كربة هنا في الدنيا تقول: وكيف يكون كُرَب الآخرة؟ وهنا كُلّ ظالم يَنْزِع الله -عز وجل- منه حاله؛ لكن هناك عندما نكون بين يدي ملك الملوك، إلى أين المَهْرَب؟

من أجل ذلك، «حَسْبِيَ اللَّهُ وَكَفَى، سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ دَعَا، لَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ مَرْمَى» (الموطأ كتاب القدر ٩).

هنا أيّ أحد يتصدّى لك، فإنك تقف بين يدي الله وتَطْلبه، أمّا هناك ليس هناك إلّا الله.

فكل هذه التربية تحتاج إلى قراءة، من يقرأها؟ مَن يَتَفَكَّر، من يعبد الله بالتَّفَكُّر. في سورة آل عمران اسم لهؤلاء المُتَفَكِّرِين ﴿أُولِي الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

معنى ذلك، لن ينتفع بوسائل الإعلام الحديثة في نَشْر الدعوة كما ينبغي إلا مَن كان وَصْفُه أنّه من أولي الألباب.

فنحن أوَّلًا اتفقنا أن يكون معه عِلْم، وتقدّمنا قليلًا، فقلنا أناس كثيرون معهم عِلْم، فنحن نريد عِلْم العقيدة أوّلًا، ويكون هذا العلم واضحًا -كما اتفقنا-، وله أَدِلَّتُه، ويكون عنده فقه الأولويات. إلى هنا جميل، لكن هناك أناس عندهم كل هذا، ومع ذلك فهم مشغولون بلا شيء، **الناس عَطْشَى لكلمة عن الله**، وهو يقول: فلان زعلان مني، علان يريد أن أُرَاضِيه، وإلى آخر الدوران في الأشياء الضَّيِّقَة.

نقول: نعم، إذًا لا يكفي أن يكون عنده عِلْم، وهو صاحب اعتقاد سوي، فهناك مسألة زائدة أيضًا **لا بد أن يكون من أولي الألباب، الذي يتفكر في جَرْيِ الليل والنهار عليه، الذي يرى كيف الله -عز وجل- قَرَّب له الوسائل، واختبره بها، الذي يرى كيف أنَّ الله -عز وجل- علَّمَه، وخَصَّه من العِلْم ما غَيْرُه في حال عَطَش له**؛ نحن سابقًا كُنَّا نشتكي من الناس الذين ليس عندهم عِلْم، ونقول أنّهم يَتَصَدَّرُون المجالس ويجلبون بَلَاءات. وعندهم حماس، وعندهم همة،

ويجرون، لماذا؟ بسبب أنَّ الشيطان لا يمنعهم، اذهبوا، ويذهبون ويقولون كلامًا قَوْلًا على الله بِلَا عِلْم.

انتهينا من هذه المشكلة، جاءتني مشكلة أخرى. أناس عندهم عِلْم، وعقيدة صحيحة، وكلام واضح، وأدلّة واضحة، وعندهم فِقْه للأَوْلَوِيَّات؛ لكن ماذا يفعلون؟ يَدُورُون حول أنفسهم.

وهذا الكلام يجب أن تَفْهَمُوه جَيِّدًا، نحن **كل مرة نجد أناسًا عندهم عِلْم، ويمشون في الخط المستقيم، ثم الشيطان يُحَرِّش بينهم**، ثم ما عندهم إلا الكلام الفارغ -الذي لا قيمة له-، ثم الغيبة، ثم النميمة، ثم المشاكل، ويأتي يقول: تعالوا فُكُّوا بَيْن إخواننا. أليس هذا الذي يحصل؟ وكم من أماكن خير هَدَمهَا مثْل هذه الأفعال، وكم من أناس كانوا مُنْتِجِين، مُعْطِين، يسدّون ثغرات، لكن حَطَّمُوا أنفسهم، هم حَطَّمُوا أنفسهم. لا تَقُل لي: "الآخرين حَطَّمُوهم"، هم الذين حَطَّمُوا أنفسهم؛ لأنّك الآن وأنت تمشي في الطريق، لا بد أن تأتيك عَقَبَات. ألم يَقُل الله -عزّ وجل- في سورة الفرقان: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان:٢٠]. إذًا ليس هناك أحد يُحَطِّمَك وأنت تعرف ما غايتك وطريقك، أنت الذي تُحطِّم نفسك، لأنّك تستجيب، هذا الطريق لا بد يحدث فيه كذا، مئة واحد يتكلم. الآن أنت في عَمَل، وفي إنتاج، ولا تنسَ كل الشروط -الأول: معك عقيدة

صحيحة، ... إلى آخره-، فالآن معي عِلْم، وأعرف ربنا، وأعرف أنّ الناس كلّهم حولي فتنة. قالوا لي: فلان قال، وعلّان قال. فأقوم بالاتصال، هل سمعتم فلانة قالت؟ نعم قالت. ولماذا تقول، ومن أجل ماذا؟ وإذا تريد أن تتأكّد، اتّصل على فلان حتى يؤكّد لك أنّه هكذا قال. وتذهب أنت تتّصل على فلان، تتأكّد أنّه قال، وبعد ذلك تأتي تقول لهم: هيا تعالوا واجهونا مع بعضنا البعض، ودعونا نرى لماذا قالوا، ولماذا عادوا. كل هذا وأنت تنسى أنّ الله -عزّ وجل- حَسْبُك، وهو كافيك، هذا كلّه نسيان لهذا.

هل هذا يعني أن أَتْرُكهُم؟ ما بِكُم؟! ألم تعلموا أنَّ هذا الطريق كلّه أشواك؟ كلّه ابتلاءات، ألم تَعْلَم أنَّ الشيطان يُحِب أن يأتي لك بقواطع في الطريق، وهؤلاء من القواطع، ثم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج:٣٨]. نحن مهما جَلَسْنَا وتَكَلَّمْنَا، لا يأتي وراء الكلام إلّا الكلام، ألم تسمع النبي -صلى الله عليه وسلم- يَتَكَلَّم عن زمن الهَرْج، في البخاري قال: «الهَرْجُ: القَتْلُ» (رواه البخاري٧٠٦٢). وفي ابن ماجة قال النبي -صلى الله عليه وسلم- «قيلَ: وما الهَرْجُ؟ قال: الكَذِبُ والقَتلُ» (رواه أحمد١٩٦٣٦).

بمعنى أنّه يأتي أزمنة يصبح الناس فقط يكذبون، فقط يتكلمون، نحن في تعبيرنا العام نقول: هؤلاء يَهْرِجون. كلام وحسب، وأيّ كلام،

مِثْل هذا نَحِّيه عن حياتك، وتَفَكَّرْ، ثم أنت في الغالب تجد نفسك يتكلمون عليك، وأنت منذ زمن، من عشر، أو اثنتا عشرة سنة، أنت قلت عن أحد هذا الكلام، فتفهم أن هذه كلّها تصفية حسابات، وتتجاوز كلامهم، هذا التَّفَكُّر هو الذي يجعلك تتجاوز عن كلامهم.

التَّفَكُّر هذه حالة فيها معرفة الله، تعرف الله، بعد أن تعلّمت العقيدة الصحيحة، انْظُرْ أمامك، كل شيء شاهد على أنّه هو مَلِك الملوك، شَاهِد على أنّه يُدَبِّر الأمور، شاهد على أنّه لطيف، حكيم، ترى أثر هذه الشهادة في كل أحوالك، أحوالك التي تَخُصَّك، وأحوال غيرك.

ولذلك مَثَلًا، يأتيك أحد يقول: أنا لي أب، أو أخ، أو زوج، مَرِض وحصل له كذا، وكذا، وكذا، وهو كان في حياته ليس مستقيمًا، والآن هو في المستشفى، أو كلام من هذا، وأنت شخص تفهم عن الله، ماذا ستقول؟ تقول: سبحان الله، كيف الله رحيم بعباده، اسمع، هذا أبوك ربّنا ابتلاه بهذا البلاء لأنّه يحبّه، لماذا؟ لأنّ الإنسان عندما لا يكون على خط مستقيم، والله -عز وجل- يريد له أن يمشي على الخط المستقيم يَبْتَليه ببَلَاءات، هذه البلاءات كَفَّارَات، يخرج من الدنيا ....، يمشي على الأرض ما عليه خطيئة، انظر إلى لطف الله ورحمته. انظر كيف تُوَجِّه تفكيره، أنّك أنت تعيش في رحمة.

أو هذه التي تقول: أولادي أبوهم توفّي. تقولين: فُتِحَ لك باب خير، تربية اليتامى من أعظم الأجور.

من يقول هذا الكلام؟ الذي يعرف ربنا، **الذي يعرف الله يُحَسِّن ظَنّه هو في الله، ويُحَسِّن ظَنّ الناس في ربهم.** وليست هي إبرة مُهَدِّئَة، أو حبة مُخَدِّرة. لا، هو يقين وحق، وأنت في ذاكرتك ما يزيد هذا اليقين والحق، وتستطيع مِن حُسْن ظنّك بالله أن تقسم: والله، لَيُفَرِّج الله عليك الكرب. والله ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح:٦] يقينًا. وكم عشنا عُسْرًا فرَأَيْنا كيف يأتي اليُسْر من أعظم الأبواب.

هذه عندما تكون صادقًا فيها وترسلها، وأنت مُتَفَكِّر في الأحوال، تقول: تعال، أنا أحكي لك بدلًا من القصة مئة قصة، أنا عشتها، ورأيتها، ورأيت كيف أنّه بعد العسر يسرًا، وكما فَرَّج على يوسف -عليه السلام-، وكما فَرَّج على يعقوب -عليه السلام-، لا بد أن يُفَرِّج عنك؛ لأنّه مَلِك كامل الصفات، ولا يأتي من كامل الصفات إلا كمال الأفعال.

هذا يعرف ربنا، وتَفَكَّر في الواقع، فكان من أولي الألباب، فعرف أن يرسل الرسالة لكل أحد.

وعلى ذلك، بسبب نقص هذا، تعرف لماذا انتشرت الأمراض النفسية، الناس تَمَسَّكُوا بالدنيا، وارتفعت أمانيهم فيها، وصارت الأسباب عندهم فوق رب الأسباب.

فيقول لأحد: لماذا أنت -يا أخي- مُكْتَئِب؟ يقول: والله، أنا خائف على أولادي في المستقبل، مِن أين لهم ليجدوا وظائفًا؟ مِن أين يجدون كذا، وكذا. أو حتى في مسألة الدين، يأتي له اكتئاب، لماذا؟ يشعر أنَّ أولاده لن يكونوا على استقامة. كيف، وإبراهيم -عليه السلام- لَمَّا دَعَا ربه، وقال: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم:٤٠]. كيف؟ معناه أنّك تطلب مَالِك المُلْك أن يُهَيِّئ لهؤلاء طريقًا يهتدون به.

المَقْصَد انظر كيف أنّ سوء الظن يوصل الإنسان حتى إلى حَمْل هَمِّ أمر لا يجري عليه الآن. لماذا؟ لأنّنا لا نعرف ربنا، في مقابل **لو أنَّ القوم عَرَفُوا الله -عزوجل- حَقَّ المعرفة، وتَفَكَّرُوا فيما يجري عليهم، لهَانَت عليهم كثير من أحوال الدنيا**، ولكانت النتيجة أن يصبح الداعي إلى الله بنفسه مستقرًا نفسيًّا، وبنفسه بَلْسَمًا على مَن يُخَاطِبهم، وعلى مَن يرعاهم، وعلى من يكلّمهم، يصبح هذا الداعي فيه من الصبر ما فيه.

أنت الآن داعٍ، وتتأمّل، وتتفكّر، وترى كيف أنّه دائمًا طُلّاب العلم عندما يبتدئون الطلب، أو المَدْعُوّين عندما يبتدئون في مجال الدعوة، تجدهم ثائرين، لا يَقْبَلُون السنة، لكن شيئًا فشيئًا عندما يسمعون عن الله، وعن أسمائه وصفاته، تهدأ نفوسهم، ويقبلون. فتَتَفَكَّر إلى أيّ درجة **النفوس قَابِلَة، وفطرتها مُسْتَعِدَّة للعلم عن الله**، تتفكر كيف أنّ هذا الكلام يأتي بالقلوب، وتفهم بعد ذلك لماذا كتاب الله -عز وجل- من أوّله لآخره تَكَلَّم عن وصفه -سبحانه وتعالى-، وعن أفعاله، وعمّا يستحقه -سبحانه وتعالى- من التعظيم.

إذًا نحن نمشي مع وسائل الدعوة، ومحتاجين الداعي، وسائل الدعوة مفتوحة، بقي عليك ماذا يا داعي؟ -نبدأ من البداية- تحتاج إلى عِلْم. واتّفقنا ماذا يكون العلم، وكيف، وفي العقيدة الصحيحة، ... إلى آخره. الآن احتجنا إلى همة، قلنا **النقطة الأولى في الهمة:**

١) عندي سَقْفَيْن، فمن أجل أن يصير عندي همة عالية، **أرفع سَقْف الحاجات الأخروية، وأُدَنِّي سَقْف الحاجات الدنيوية.**

كيف أفعل هذا؟ بالتَّفَكُّر.

ليس كل أحد عنده عِلْم يَقْدر أن يُدَنِّي حاجاته الدنيوية ويرفع حاجاته الأخروية، كم من أحد يأتي يُكَلِّمك عن أحاديث الحشر، وعن

أحاديث القبر، ويُكَلّمك، ويقولها، وقَلْبُه مُعَلَّق بالدنيا، فالمسألة لا تحتاج مُجَرَّد عِلْم وكلام، ولكن تحتاج كذلك إلى تَفَكُّر حقًّا، هذا التَّفَكُّر مع التدبُّر يُورِث خشيةً، تقوى، انكسارًا، ذُلًّا.

وهذه أوَّل مَبْدَأ الهمة، لكي تصير لك همة أن تَنْشُر الدعوة، لا بد أن تكون قيمة الدنيا ضئيلة، وتصير أحزانك وهمومك ليس على ما فات من الدنيا، إنّما أحزانك وهمومك على الآخرة، وعلى ما يفوت من حَظِّك في الدعوة، وفي نَشْر الخير، هذا الذي يُضَيَّق قَلْبَك.

جميل، عَرَفْنا هذه الخطوة الأولى من أجل هِمَّة عالية.

تأتي خطوة ثانية وغاية في الأهمية:

٢) مِن أجل أن تبقى الهمة عالية **لا بد أن تلعب دَوْرًا مُزْدَوَجًا دائمًا، تكون مُعَلِّمًا وطالب عِلْم في نفس الوقت.**

هل ترون الأَطِبَّاء، هل بعد أن يَتَخَرَّجُوا من جامعاتهم ويمارسون علاج الناس، هل ينقطعون عن التعلم؟ إذا لم يَتَعَلَّم هذا الطبيب ما هو حديث، ماذا يحدث؟ ينتهي موضوعه. فما بالُكم بأطِبَّاء القلوب؟ هم أَوْلَى أن يظلوا يلعبون هذا الدور المزدوج دائمًا، فأنت لكي تبقى همتك عالية، تَعَلَّم وعَلِّم، أو بالعكس. أنت وَصَلْت أنَّك تُعَلِّم، عَلِّم وابْقَ مُتَعَلِّمًا، باحِثًا، مُرْتَبِطًا، مُتَدَبِّرًا، قَارِئًا لِمَا كُتِب حديثًا؛ لأنّك عندما

تعالج المسائل المعاصرة تحتاج إلى كلام أهل العِلْم المعاصرين، وعندما تحتاج أن تؤصّل المسائل تحتاج إلى كلام أهل العلم الذين سَبَقُوك، وهكذا. وكلام أهل العلم -الحمد لله- موجود.

نحن الآن سنزيد هِمَّتَنا بهاتين الخطوتين، لا زلنا عند زيادة الهِمَّة، الخطوة الأولى ما هي؟ تَعْلِيَة سقف الأماني الأخروية، عندما تصبح أمانيك الأُخْرَوِيَة أقوى، تصير هِمَّتك في الدعوة والخروج، وتعتقد أنَّ دَعْوَتَك هنا من أجل الله، تحيط بك الملائكة، وأجور هؤلاء القوم في ميزانك، كل هذا مهم عندك، أهم من أن تأخذ غفوة ساعة أو ساعتين، أو تشتري كذا، أو تفعل كذا.

والأمر الثاني: لكي تبقى هِمَّتك عالية، لا بد أن تبقى تأخذ وتعطي -معلم وطالب علم-.

الأمر الثالث الذي هو في غاية الأهمية:

٣) الصحبة.

وما أدراك ما الصحبة، الله المستعان، هذه واحدة من الجروح في مجال الدعوة، على جميع الأصعدة، شبابًا أو كبارًا، كلّهم يشتركون في هذه المسألة.

هل ترون موسى -عليه السلام- في سورة القصص لَمَّا طَلَب من الله -عز وجل-: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢)} من أجل ماذا؟ ← {كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ [طه:٣٠-٣٤]. هذه هي العلاقة السوية، هي هذه فقط، أنا ورفيقي في الدَّرْب علاقتي به: نُسَبِّح الله -عزّ وجل-، نذكر الله. ونسبّحه لا يعني أنّنا نجلس جلسة جماعية ونقول سبحان الله، ليس هكذا، بل نمر بمواقف فيُعَلِّي كل واحد مِنَّا للثاني قُدْرَته على التَّفَكُّر؛ فيقول: تَأَمَّل كيف هذا الموقف، انظر كيف لَمَّا مَررنا بكذا وكذا، انظر كيف ربنا لَطَف بِنَا لَمَّا حَصَل كذا وكذا، انظر رزق الله كيف. وأنا أعطيها شيئًا، فتقول: سبحان الله، أنا الآن مَرَّ على خاطري أنّه كذا، وكذا، وكذا. فنكون ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾.

ثم أنا وهي نمشي في الطريق، فلو كَسَلْت، وقلت: دعينا لا نذهب اليوم، ترد: اذكري الله، اذكري الأجر عند الله، هذا في ميزانك، أنت لو أَعَنْت مؤمنًا ومسلمًا على كذا وكذا يحصل كذا، وكذا. وغدًا هي دورها، تقول: أنا لا أريد الذهاب. أقول: اذكري الله. هذه العلاقة بالضبط.

تعال لعلائقنا بالخلق، وانظر، ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ﴾، أنا أقصد بالذات مجال الدعوة والعِلْم، اترك عنك الحياة العامة، اترك عنك أهلك. لا،

نحن نتكلم في مجال من جئت وقلتِ لها: أنا يا فلانة أحبك في الله. بهذه الصورة.

فلانة هذه التي تحبينها في الله، هل خرجنا معها ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾، متفاوتين، لا بأس، المهم أن يبقى هذا المقياس في عقولنا، ونفهم جَيِّدًا أنّ **كثيرًا من العلاقات الأخوية كان سببًا في تثبيط الهِمَم.**

بمعنى أن صاحبتها تدخل عليها وتقول لها: أنا أراك مصْفَرّة، وتَعِبَة، دعينا لا نذهب اليوم.

أو الثانية تدخل عليها تقول لها: أنت جاءك المرض من هذا الجري، والذهاب والعودة، انتبهي لصحتك، لا يفيدك إلا صحتك، غدًا تصبحين عاجزة ولا أحد يحملك، هؤلاء لا ينفعونك.

هؤلاء الزملاء الذين معي -رفقاء الدرب- هكذا يقولون. أكيد أنَّ مثْل هذا سَهْم سريع إلى القلب، وإذا ما استجابت في لحظتها، ستستجيب لكن على المدى الطويل، فانظر إلى أيّ درجة الصحبة لها أثر.

[مشاركة: إذا ما كانوا صحبة، كانوا أهلًا].

أنا أتكلم عن الصحبة؛ لأنّني عندما يأتيني الأهل، أقول هؤلاء ما ذاقوا الدعوة، ما عرفوها، ما عرفوا الطريق، هناك أعذار أقولها عنهم، أقول: والله لو كانت تدري أنا في أيّ جنة، لما قالت لي كذا، أنا التي أعيش وليس أنت.

لكن أنا عندما يكون هذا معي على الطريق، ويطلب العلم، وذاق حلاوته مثلًا، ويأتي يقول لي هذا الكلام، ماذا سأفعل؟ أكيد سأُثَبَّط.

أنا أذكر أَقَلَّ صورة من الإساءة، وهذا غير الانشغال ببعضنا، وغير الاتصالات، والمكالمات طويلة المدى، وغير الدخول في الهموم الخاصة بدلًا من الهموم العامة، هذه الصحبة قصة طويلة، ولقد رأينا أنَّ كثيرًا مِمّن استقام على الطريق فَتَنَتْه الصحبة فتنة عظيمة أَوْرَثَتْه انتكاسة حقيقية، وبعدما كانوا الاثنين يحفظون من أجل الله، أسقطوا هذا الحفظ الذي يحفظونه من أجل الله وصاروا علاقتهم فقط من أجل بعضهم البعض، بعدما كان حبًا في الله، أصبح حبًّا لكنه ليس في الله، حب مع الله، بَلَغ حَدَّ أن يمتلئ القلب بحب الإخوان حُبًّا يصل إلى حد الخطر، فأكيد أنَّ همة هؤلاء في الغالب ماذا ستكون؟

هي تقول لها: أنا لا أقدر أن أعمل إلّا عندما تكونين معي. ثم لأيّ سبب صار كل واحد في طريق، ماذا سيكون ناتج العمل؟ بَدَلًا من أن يصير جهدين، بدلًا من أن نقول أنّ هذا صار في الثَّغْرَة الفلانية، وهذا في الثَّغْرَة الفلانية، انْطَفَأَ الشخصان. أنتم من قبل كنتم تعملون من أجل مَن؟ وكنتم تجتمعون مِن أجل مَن؟ **المفترض أن يكون هذا الاجتماع** ← ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾.

هذا الجرح حَقًّا عميق، الخلل فيه حقًّا موجود، وحقًّا هو سبب كثير من الانتكاسات، خصوصًا أنَّ كثرة الاحتكاك تُورِث عند كثير من الناس الانتكاس، بالذات النساء -وإن كان الآن لا يخلوا النساء ولا الرجال، لكن دعونا نضرب على ما نعيش-، كثير من النساء فيهم ضَعْف، فيهم مشاعر، فمَشَاعِرُهُم تَحْكُمُهُم، فأوّل شيء أنا لا أعمل إلا مع شخص أحبه. قبلنا هذا، بعد ذلك هذا الذي أُحِبُّه مع العمل ازددت مَحَبّة له، بعد ذلك مِن حُبِّي له أصبحت علاقتي به من أجل الحب، وليس من أجل الدعوة، ولا الحفظ، إلى آخره.

فكونوا على حذر، إمّا صُحْبة تزيد الإيمان، وإمّا علاقة تُرْضِي الرحمن، لكن على الحد، أن نكون بَشُوشِين، طَيِّبِين، نعامل الناس أحسن ما يكون، أو علاقة تزيد الإيمان، عندما نجتمع ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ وهذا المقياس ليس مِقْيَاسًا دُنْيَوِيًّا، ولا

تَشَـدُّد فيه، تَصَـوَّر أنَّ هذا أخوه، شَـقِيقُه، ومع ذلك لا يريده إلا من أجل هذا الهدف، يريده أن يكون معه في الطريق لماذا؟ يَشْـدُد به أزره. كيف سَـيَشُـد أَزْرَه؟ بأن يُسَـبِّحا سـويًّا، وأن يَذْكُرَا سـويًّا، فَيُذَكِّر كل واحد منهما الآخر، ويَتَفَكَّرَان معًا.

إذًا نحن من أجل أن تبقى الهمة عالية، لا تنسـوا، هناك صـحبة، ماذا تفعل في هذه الهمة؟ إمّا تُضْـعِفْهَا، وإمَّا تزيدها. ومن أجل ذلك نحن نقول: **اترك عنك صحبة الثنائيات، الأحسن أن نكون جماعة**، وعندما نصير جماعة، من أجل أن تحفظ هذه الجماعة امسك عليك لسانك، لا يخرب الجماعات إلا الكلام فيما لا يعنيك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من حسـنِ إسـلامِ المَرءِ تركُه ما لا يعنيه» (رواه الترمذي ٢٣١٧).

إلى هنا اتّفقنا أنَّ هذه الوسـائل ها هي مفتوحة، ماذا يجب أن أكون أنا مِن أجل أن أصِـل؟ أنا أحتاج مَن؟ أحتاج طالب علم عنده همة عالية.

وسائل الإعلام هذه مفتوحة، بقي أن تستعدوا لها، وستنفتح أكثر، وستصبح في متناول اليد أكثر، والأيام القادمة ستأتي بشيء أكثر، فلا بد أن يصير عندنا استعداد لِما نحن فيه، وللأيام القادمة التي سينفتح

فيها الإعلام أكثر، وسيصل صوت الإسلام لكل أحد في الأرض، لكن لما نأتي وأنا ليس معي عِلْم، وليس معي هِمَّة، لن يُفِدَني، سيمسك أهل الباطل هذه الوسائل، أهل الباطل من المسلمين، أهل الفِرَق المُنْحَرِفَة سَيَفْتَحُون لهم هذه الوسائل على مِصْرَاعَيْهَا، ولذلك الآن الروافض عندهم ٣٩ قناة باللغة العربية، ٣٩ قناة تُبَثّ، ويستطيع المسلمون كلّهم -أهل السنة- أن يلتقطوها، ٣٩ قناة بيْن الشباب، وبين الأطفال، وبيْن النساء، تَخَيَّلوا إلى النساء -أي أشياءهم التي تُهِمَّهُم-، وبيْن العامة، ٣٩ قناة، ولا زال الأمر يزيد.

فالمقصود، الأمر في مُتَنَاوَل اليد، ونحن عندنا شباب كثير في يدهم البلاك بيري (Blackberry) هذا، يتكلّمون فيه بالباطل، وهذا ولد أخي، وهذا ولد أختي، وهذا أخي الصغير، وهذا كذا. هؤلاء الجماعة كلّهم مُضَافِين عندي أنا، فهؤلاء الجماعة أضعهم في حقل وحدهم، وما أصبح إلا أكتب لهم، وما أمسي إلا أكتب لهم.

والذي يستعمل هذه الوسائل لا بد أن يُلَاحِظ الاختصار والكلام المهم، أي لا يكتب كلامًا طويلًا، ويكتب كلامًا مُهِمًّا بالنسبة لنا، أي عقيدة صحيحة.

ثم إنَّ هؤلاء يريدون أن ينشروا، يريدون أن يظهروا بأيّ صورة، فالكلام الذي كتبته أنت، هو سيمسك كل الجماعة التي في قائمته، ويعمل رسالة بث، يَبُثُّهَا إليهم.

فتَخَيَّل من هذا، ولد الأخ، وولد الأخت، والخمسة، أو الستة الذين عندي، وصلت لـ ٣٠-٤٠ شخصًا، والـ ٣٠-٤٠ سينشرون لغيرهم.

بدليل أنّه يوم الجمعة، يوم خطاب الملك -حفظه الله-، عَرَفَ الناس بعد صلاة الجمعة مباشرة، عَرَفُوا بخبر في الإذاعة أنّه ستأتي قرارات الملك. على الـ(بي بي)، كل الناس الذين يمسكون (بي بي) عَرَفُوا في دقيقتها، مثل الشَّرَارَة تُبَثّ. ومثله في الليل -ما شاء الله- عندما جاءتهم الإجازة، كل الناس جاءتهم، لدرجة أنّنا لم نكن نُصَدِّق.

فهل ترون كيف تنتشر القصة في دقائق، هذا يسمع الخبر، يضعه في الـ(بي بي)، يُرْسِله إلى كل الناس، الذي له علاقة به، أو ليس له علاقة يَصِلُه الخبر.

فتخيّل كيف هي وسائل الإعلام قريبة، شديدة القُرْب، هذا كلّه لا بد من رعايته، وستزداد قُرْبًا، هذا الموضوع لا بد أن تفهموه، أنتم لا تتصورون إلى أيّ درجة الحضارة ستأتي بمُخْرَجَات، لكن ليس مُهِمًّا

المُخْرَجَات الحضارية، المهم هل أنت استعدّيت للتعامل مع المُخْرَجَات الحضارية؟ استعد بأمرين:

- استعد بالعلم، وكل التفاصيل التي تكلّمنا عنها.
- واستعد من الجهة الأخرى بهمة عالية.

الأمر قريب، قريب، الآن بهذا الكمبيوتر اللوحي، واحد مستلقٍ على فراشه، يقدر أن يكتب رسالة ويرسلها لألف واحد في قائمته، وهو مستلقٍ على فراشه! ماذا يريد أكثر من هذا، باب مفتوح للدعوة، لكن أنت استعد.

هناك بعض المحاذير لا بد من الحذر منها في هذا الباب:

١) **لا بد من الحذر من أن تُسْتَخْدَم هذه الوسائل للطَّعْن في الناس.**

في كثير من الأحيان يكون هناك أهل خطأ، مثلًا فتوى مُخَالِفَة، صحيح هي مُخَالِفَة، لا نُنْكِر. لكن يأتي أحد ويعتدي على صاحب الفتوى، وهو مجتهد، قد يُصِيب، وقد يُخْطِئ، وإن أصاب له أجران، وإن أخطأ له أجر. فيأتي أحدهم في وسائل الإعلام هذه الوسائل المتطورة في النشر، وتجده يبدأ بِسَبِّ هذا الرجل، وينسى أنَّ «سِبابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ، وقِتالُهُ كُفْرٌ» (رواه البخاري٦٠٤٤) لا بد من إنكار المنكر. نعم،

الشريعة أمرتنا بإنكار المنكر، لكن هاتِ نصًّا واحدًا يقول لك الشريعة تقول لك سُبّ صاحب المنكر، بل معك نص يقول: لا يجوز لك سَبُّه.

ألم يكن الصحابة واقفين على الرجل الذين زنى، وهم يرجمونه، وفي الرواية الثانية: المرأة، ثم سمع النبي -صلى الله عليه وسلم- منهم سَبًّا لها أو له، ماذا قال؟ «لَقَد تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِّمَتْ عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ» (صحيح مسلم ٣/ ١٣٢٣، ١٣٢٤). هذه زانية، أو زاني! نعم، هناك فرق بين إنكار المنكر، أقول: هذا لا يوافق السنة، هذا الكلام لم يأت به النبي -صلى الله عليه وسلم-، هذا الكلام فيه مخالفة للنصوص، هذا الكلام شيء، وشيء آخر أن أقول: فلان الذي وصفه كذا وكذا من الكلمات القبيحة.

على الأقل أنا الآن أتكلّم عن الكلمات البذيئة التي يمكن أن تُسْتَخْدَم. وأنتم رأيتم كيف وسائل الإعلام مرة واحدة نَقَلَت لبيوتنا وعلى ألسنة أولادنا ألفاظًا لا يمكن أن نقبلها على أنفسنا، على الكبير في عوائلنا، وأخذوا هذا الكلام من الشوارع التي ضجّت بها، ومن الأوراق التي كُتِبَت عليها، ثم أصبحوا يتبادلونه على أجهزتهم، ثم بدأوا يتكلمون به على أهلهم، صاروا يقولون هذا الكلام على أهلهم. كل هذا من أين؟ كل هذا نسيانًا لأمر نبوي واحد، «سِبابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وقِتالُهُ كُفْرٌ» (رواه البخاري٦٠٤٤).

فيقول أحدهم: هذا ليس مسلمًا، فيجلب الطامّة العظيمة، تأتيك المصيبة العظيمة في تكفير المسلمين، من أين لك أن تقول أنَّ هذا ليس مسلمًا، مَنْ كَفَّر مسلمًا فقد باء به أحدهما، «إذا قالَ الرَّجُلُ لأخِيهِ يا كافِرُ، فقَدْ باءَ به أحَدُهُما» (رواه البخاري٦١٠٣). أين تَتَحَمَّل أن تُكَفِّر المسلمين، أين هذه المصيبة العظيمة، أين تَتَحَمَّلْهَا عند الله؟

لتَكْفِير المُعَيَّن شروط لا بد من معرفتها، من هذا الفقيه فينا الذي يستطيع أن يُحَقِّق هذه الشروط ويقول عن هذا أنّه كافر، إذا كان النبي -صلى الله عليه وسلم- في غزوة أحد لَمَّا قَنَت فلَعَن فلانًا وفلانًا، قال له الله -عز وجل-: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران:١٢٨]. فكيف يكون موقفنا؟

على كل حال، هي مسائل مفتوحة على بعضها، أنا فقط أريد أن أقول تحذيرات مختَصَرة:

أولًا: احذر أن تستعمل هذه الوسائل للطعن في الناس، حتى لو كانوا يخالفونك في الرأي، هناك طريقة مُهَذَّبَة للكلام مع المُخَالِف، أو عن المُخَالِف، لا يصلح أنت يا صاحب الدعوة أن تكون فَاحِشًا بذيئًا، لا يصلح، حتى مع المُخَالِف لا يصلح. هذا أولًا.

٢) احذر من طَرْح مسائل شائكة في الفَهْم ليس لها مُقَدِّمَات.

مثلًا، هذه المسألة شائكة في الاعتقاد، شائكة في السلوك، غير مشهورة بين الناس، ما قَدَّمْت لها مقدمات لكي يفهمها الناس، ومرة واحدة هكذا تقول لهم: حرام أن تفعلوا كذا وكذا، لا يجوز أن تفعلوا كذا وكذا. الجماعة ليسوا فاهمين، كيف لا يجوز؟ لا بد أن يكون الموضوع له أمر سابق.

مثل كثير من الاستعمالات في الطب البديل، في الطب البديل ظهرت أنواع من الاستعمالات قد تُخَالِف الشريعة، مثل إسورة ابن سينا، وغيره. الآن إسورة ابن سينا فيها فتوى، لكن أنا عندما أريد أن أطرح على العامة، هذا ولد أخي، ولد أختي، وبنت أخي، وإلى آخرهم، هؤلاء الجماعة، والصغير...، هؤلاء الجماعة ليس عندهم أُسُس، قبل أن أكتب الحُكْم لا بد أن أفهمهم، الأسباب عندما تأخذها لا بد أن يكون السبب شرعيًّا، شرعه الله، أو كوني قَدَّرَه الله في الكون، وبكلام مختصر. ومثْل هذه الإسورة، لا هي سبب شرعي، ولا سبب كوني.

الكلام يطول، سبب شرعي مثْل الرقية في المرض، سبب كوني مثل الأدوية والأعشاب الموجودة في الأرض التي جعلها الله تَطَبُّبًا.

مثال آخر: الغِنَى، الغِنَى له سبب شرعي، وله سبب كوني، سبب شرعي الزواج، الزواج أحد أسباب الغِنَى الشرعية، التجارة أحد أسباب الغِنَى الكونية.

وما يفعلونه من: الـ (يا نصيب)، وإلى آخره، هذا ليس سببًا شرعيًّا، ولا كونيًّا.

إسورة ابن سينا ليست سببًا شرعيًّا، ولا سببًا كونيًّا، وهكذا.

المهم المقصد الآن -لكي نصل للغاية-، ما المقصد؟ أنَّ هناك أمورًا عندما تُطْرَح على الناس، تُسَبِّب فتْنَتَهُم، فأنت ابْقَ حذرًا، لا تستخدم وسائل الإعلام في فتنة الناس وإثارتهم، مثْل ما يفعل كثير من الإعلاميين.

في زمن الشيخ ابن جبرين -رحمه الله-، راحوا نَبَشُوا عن كلام، وراحوا سألوه: يا شيخ، في المذهب أنَّ الرجل لا يتحمل علاج المرأة. الآن تركوا كل الأسئلة، وراحوا سألوه عن هذا السؤال، وأجابهم الرجل أنّه نعم، في المذهب هذا قول. وأمسكوا صفحة في جريدة، وكتبوا بالخط العريض: فلان الفلاني يقول كذا، ثم يا صحافة هاجمي الدين، وهاجمي العلماء، وكلّهم مساكين مرة واحدة في صف المرأة الآن، كلّهم

أصبحوا في المستشفيات ويتعالجون، كلّهم يريدون خدمة المرأة، وهذا كلّه معروف، لَعِب، لَعِب بالكلام، لَعِب بالآراء.

هل ترون كيف يمكن أن أُسَبِّب مشكلة، هناك عند الشيخ -رحمه الله- كان الجماعة عندهم مكر، استخدموا المَكْر معه، لكن أحيانًا أنا أخطئ، ممكن أخطئ خطأ، وأطرح موضوعًا شائكًا، فيُسَبِّب الإثارة على الدين.

ويأتي بعد ذلك في الآخر يقولون: أصلًا أنتم كل شيء عندكم حرام، هذا الذي يصير من الشباب. لذلك المفروض للذي يُطْرَح أن يكون علمًا في اعتقاد، كل يوم رتّب لنفسك أن تكتب معنى لاسم من أسماء الله، وترسله. هذا لن يناقش الحرام ولا الحلال، ولا أيّ شيء. اكتب عن أمهات المؤمنين، اكتب عن صحابة النبي -صلى الله عليه وسلم-، اكتب عن اليوم الآخر، اكتب مشاهدًا من يوم القيامة، اكتب أمورًا، المهم في النهاية ليست شائكة، استعمل وسائل الإعلام في نَشْر الحق.

بعد ذلك، عندما يريد هذا أن يستفتي، عندما يصير عنده ميل للثقة بك، ويريد أن يستفتيك، في ذاك الوقت أشرح له قصة طويلة، وأُفْهِمُه، هذه مقدماته، وهذه نتائجه، وهذه أدلة، وهكذا نفهم الدليل، إلى آخره.

اشرح آية من كتاب الله، وأكيد سيفهمها.

على كل حال، انتهى وقتنا، أقول المحذور الثالث:

٣) **الإطالة المُمِلَّة.**

في وسائل الإعلام الحديثة الشباب يحتاجون أن نختصر ما استطعنا إلى ذلك سبيلًا، وأحسن اختصار أن تُكَلِّمْهُم بكلام الله، أو كلام رسوله، اختصر في جَمْع كلام الله -عز وجل- وكلام رسوله، وكلمتان تشرح لهم الكلام الغير مفهوم.

٤) **انتبه من نَشْر البدعة في هذه الوسائل.**

احذر من نشر البدعة في هذه الوسائل؛ لأنّ أهل البدعة تَمَكَّنُوا من الوسائل، احذر من نَشْر البدعة في هذه الوسائل.

٥) خامسًا: **احذر من نَشْر مواقع مشبوهة.**

على كل حال، أسأل الله -عزّ وجل- بمنّه وكرمه أن يقبلنا، وأن يجعلنا حقًّا من أهل الدعوة، وأن يجعلنا حقًّا ممّن تستغفر لهم الملائكة، ويذكرهم -سبحانه وتعالى- فيمن عنده. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.